الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثامنة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤٥هـ
تشرين الثاني ٢٠٢٣م

العدد ٤٤٧

كلمة الوعي

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ

صحفي (إسرائيلي): دولتنا إلى الزوال — ص ٥٢

هل بات العلماء بيضة القبان؟ (٣) — ص ٢٤

المسلمون بين الحاضر المؤلم والمستقبل المؤمّل (خلافة على منهاج النبوّة) — ص ٦

اتفاقات التطبيع (اتفاقات إبراهام) والتحالف الاستراتيجي الشرق أوسطي... منافسة دولية، و(إسرائيل) قطب الرحى في المنطقة (٣) — ص ١١

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٤٤٧

السنة الثامنة والثلاثون
ربيع الثاني ١٤٤٥هـ
تشرين الثاني ٢٠٢٣م

المحتويات

- كلمة الوعي: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ ٣
- المسلمون بين الحاضر المؤلم والمستقبل المؤمّل (خلافة على منهاج النبوَّة) ٦
- اتفاقات التطبيع (اتفاقات إبراهام) والتحالف الاستراتيجي الشرق أوسطي... منافسة دولية، و(إسرائيل) قطب الرحى في المنطقة (٣) ١١
- خصائص ومقومات الحضارة الإسلامية معجزة! فكيف استبدل المسلمون بها غيرها! ١٧
- هل بات العلماء بيضة القبان؟ (٣) ٢٤
- أخبار المسلمين في العالم ٣٢
- القرآن الكريم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُون ٣٤
- رياض الجنة: في فضائل القرآن (١) ٤١
- فبهداهم اقتده: صور من حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ٤٣
- كلمة أخيرة: تصاعد اعتداءات الإسرائيليين المتطرفين على مسيحيي وكنائس القدس... بصق وتدنيس ٥١
- غلاف أخير: صحفي (إسرائيلي): دولتنا إلى الزوال ٥٢

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾

التقى اليوم الأربعاء ٢٠٢٣/١٠/١٨م مجرم البيت الأبيض بايدن مع مجرم يهود نتنياهو لدراسة ما بقي لم يحرقوه من أرض غزة، وما يحتاجه يهود من سلاح وعتاد لتمدهم به أمريكا لإكمال الأرض المحروقة. وقال بايدن (إنه أراد الحضور لـ«إسرائيل» حتى يعرف الناس فيها وفي العالم بأسره أن الولايات المتحدة تقف مع «إسرائيل»، مشيرا إلى أن واشنطن تريد أن تتأكد من امتلاك «إسرائيل» ما تحتاجه للرد على هجمات حركة حماس التي اعتبر أنها ارتكبت ما وصفها بفظائع في «إسرائيل»... الجزيرة، ٢٠٢٣/١٠/١٨م)، وقد جاء ذلك غداة مجزرة ارتكبها يهود بقصف مستشفى المعمداني في القطاع مخلفاً مئات الشهداء معظمهم من الأطفال والنساء...

وكان من المقرر أن يتوجه بايدن اليوم الأربعاء من تل أبيب إلى عمّان للقاء ملك الأردن والرئيسين المصري والفلسطيني للتداول في كيفية إنهاء القضية الفلسطينية بدولة في جزء من المحتل عام ١٩٦٧ منزوعة السلاح كما قال الرئيس المصري في لقاء مع المستشار الألماني: (إيه اللي خلّى الموضوع يوصل لكده؟ هل فيه أفق أو دولة فلسطينية نجحنا إنها تخرج إلى النور خلال الثلاثين السنة الماضية؟ «وذلك» رغم المبادرات والقوانين المختلفة التي صدرت من الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والمبادرات العربية التي قدمت في هذا الشأن على إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح... الشروق ٢٠٢٣/١٠/١٨)، ولكن هذا اللقاء ألغي أو (أجِّل) بعد جريمة يهود في المستشفى المعمداني كما قال مسؤول بالبيت الأبيض («إن الرئيس بايدن ألغى زيارة مقررة إلى الأردن بعد زيارة «إسرائيل»، مشيرا إلى أنه بعد التشاور مع الملك عبد الله الثاني - وفي ضوء أيام الحداد التي أعلنها الرئيس الفلسطيني - سيؤجل الرئيس الأمريكي سفره إلى الأردن».

وكانت وزارة الصحة في غزة أعلنت ارتفاع عدد ضحايا القصف (الإسرائيلي) الذي استهدف ساحة مستشفى المعمداني بغزة إلى ٥٠٠ شهيد، معظمهم نساء وأطفال... الجزيرة، ٢٠٢٣/١٠/١٨م).

وهكذا فعلى الرغم من الدعم الكامل من أمريكا لكيان يهود المحتل لفلسطين، وبالرغم

من الدعم المعلن الذي يصرح به بايدن وهو يخاطب نتنياهو في ذلك اللقاء (إن الولايات المتحدة «ستواصل دعم (إسرائيل) بينما تدافع عن شعبها». كما طمأن نتنياهو قائلا: «أنت لست وحدك فنحن معك وخلفك». وأكد أن (إسرائيل) ليست وحدها، وأن بلاده مستمرة في دعمها. وأردف: «نقف معك في الدفاع عن حرية (إسرائيل) اليوم وغدا وللأبد»... دبي العربية نت، ٢٠٢٣/١٠/١٨م)، على الرغم من كل ذلك إلا أن الحكام في بلاد المسلمين يخطبون ود أمريكا ويرجونها أن تفتح لهم معبر رفح ليقدموا الدواء والغذاء لمنكوبي غزة.. هذا ما أعلن وما خفي أعظم! يرجون ذلك من بايدن وهو يصدع بالتصريح، وليس بالتلميح، بأنه داعم ليهود في الليل والنهار وهم يفجرون البيوت على رؤوس أهلها، ويقصفون المستشفيات فيقتلون المرضى وأهلهم بالمئات ومستشفى المعمداني ينطق بعدوانهم في الوقت الذي يبرر فيه بايدن جرائمهم وكل طغيانهم!

وقبل مجيء بايدن يلتقي وزير خارجيته بلينكن برؤساء الدول العربية الأردن والسلطة ومصر والسعودية وقطر والإمارات والبحرين... ومن قبلهم يلتقي يهود مفتتحاً زيارته بأنه يزورهم كيهودي قبل أن يكون وزيراً أمريكياً! ثم يكون البحث عن فتح المعبر وإرسال الدواء والغذاء! يطلبون منه أن يقنع يهود بالموافقة على فتح معبر رفح!! أليس هذا خزياً وعارا؟ هل جيوشنا حول فلسطين عاجزة عن فتح معبر رفح؟! إن الجيش الأردني، أصغر جيش فيها، قادر على دك حصون يهود، فكيف بجيش مصر؟ فهل جيوش المسلمين حول فلسطين عاجزة عن تحريرها؟! هل يحتاجون (رجاء) من بايدن ليفتح لهم معبر رفح؟!

إن مصيبة المسلمين هي في حكامهم؛ فقد منعوا الجيوش من نصرة إخوانهم في غزة هاشم، ووقفوا يرقبون ما يجري، يعدون الشهداء ويسمونهم قتلى، ويسجلون الجرحى، ويكتفون بالتسجيل.. وأمثلهم طريقة من يرجو بايدن ليفتح لهم المعبر ليساعدوا في دفن الموتى وتقديم الدواء للجرحى... ويكتفون بذلك ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾.

إن أهل فلسطين لا يحتاجون دواء ولا غذاء بل يحتاجون من ينصرهم ويسحق عدوهم ويعيد لهم عزهم.. يحتاجون جيش الأردن وابن الوليد وأبا عبيدة طارد الروم من أرض الشام.. يحتاجون

جيش مصر وصلاح الدين قاهر الصليبيين.. يحتاجون جيش مصر وقطز وبيبرس قاهر المغول والتتار في عين جالوت.. يحتاجون عبد الحميد بمقولته المشهورة بأن فلسطين لا تباع ولا تشترى بل هي للمسلمين لا سلطان فيها ليهود.. يحتاجون حاكماً مخلصاً يقاتل يهود فيحقق قول الصادق المصدوق «لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ...» أخرجه مسلم عن ابن عمر، فتعود فلسطين عزيزة منيعة كما كانت دار إسلام مباركة عند الله ورسوله والمؤمنين.

أيتها الجيوش في بلاد المسلمين:

إنكم تسمعون وتبصرون كيف يقصف عدوكم قطاع غزة براً وبحراً وجواً ليجعله أرضاً محروقة.. فكيف لا تنصرون إخوانكم أو تقاتلون؟! ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾.

إنكم تسمعون وتبصرون كيف ينهاكم حكامكم ويمنعونكم من قتال يهود الذين احتلوا أرض الإسراء والمعراج وأخرجوا أهلها منها وقاتلوكم في الدين وما زالوا يفعلون.. والله يأمركم بقتالهم ولا ينهاكم عن قتالهم

﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

أيتها الجيوش في بلاد المسلمين:

إن أرض الإسراء والمعراج تناديكم فلبوا النداء.. إن أهل القطاع يستنصرونكم فانصروهم.. ولا تكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾.

التاريخ الهجري :٤ من ربيع الثاني ١٤٤٥هـ

التاريخ الميلادي : الخميس, ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣م

حزب التحرير

المسلمون بين الحاضر المؤلم والمستقبل المؤمّل
(خلافة على منهاج النبوَّة)

عامر سالم أبو عبيدة

إن المتأمل لواقعنا الحالي وما وصل إليه حال المسلمين من تشرذم وتفرق وانكسار ليعزُّ عليه ما كانت عليه الأمة من قبل من عزٍّ وتمكين، حين كان لنا دولة وإمام جُنّة يقاتَل من ورائه ويتَّقى به. فالأصل في هذه الأمة أنها أمة واحدة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ٩٢﴾ وهي بالرحمة والود كالجسد الواحد «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ...**» ولكن هذا الجسد كجسد الإنسان لا يستقيم له حال ولا يسير له شأن ولا يتَّزن أمره إلا بوجود الرأس، ففيه العقل المدبِّر وفيه الربَّان الذي يقود، وهكذا كان يوم كان لنا دولة وإمام؛ كنا سادة الأمم وقادتها، ولكن تآمرَ الغرب والشرق علينا وأسقطوا الدولة وتقاسموا الكعكة، واليوم صرنا أسارى في منازلنا ويسأل الحر منا: أيُّنا التالي؟! وصرنا كالأيتام على مآدب اللئام تتقاذفنا الخطوب وتلوكنا المحن!. وهذا ليس هو الحال الطبيعي لخير أمة أخرجت للناس؛ ولكن تناوبتها الخطوب والمحن حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، بيد أن دوام الحال من المحال، وعسى الكرب الذي أمسينا فيه يكون وراءه فرج قريب.

سنستعرض ببعض السطور مقارنة لواقع المسلمين حاليًّا وواقعهم حين تكون لهم خلافة، مستلهمين ذلك من ماضينا التليد، مستبشرين بقرب سطوع نجمة عزِّنا راشدة على منهاج النبوَّة؛ وعد الله سبحانه وبشرى رسوله ﷺ؛ حيث شهدناها أول مرة حين أقام رسول الله ﷺ الدولة وحكّم كتاب الله والذي قال عنه رب العزة: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٦﴾.

ولعل هذه الكلمات تنبِّه غافلًا وتذكِّر ناسيًا وتُوقظ همةً وتُشعل جذوةً.

وأولى محطاتنا ستكون النظر إلى واقع المسلمين اليوم على الصعيد السياسي، فالمسلمون اليوم ممتهنون يتحكَّم بهم حكّام رويبضات قسَّموا بلادهم وحكموهم بالحديد والنار وساموهم سوء العذاب، لاحقوا أشرافهم واعتقلوا الصادقين ومن يعمل لنصرة الدين،

وجعلوا البلاد مسرحًا لدول الكفر، وصار المسلمون أرقامًا تتلى بين قتلى ومشردين، وصُنِّفوا باسم العالم الثالث، وتحكَّم بهم صندوق النقد الدولي وشرعة الطاغوت المتحدة تحت قيادة رأس الكفر أمريكا، ولم يبقَ لهم محل بين الأمم والدول، في حين كانت دولتهم هي الدولة الأولى في العالم لمدة تزيد عن اثني عشر قرنًا من الزمان. فالقانون هو ما تقول به دولتهم والقرار هو ما تريده؛ فصاروا إلى مزق وأشلاء: حدود وحروب وتقاطع وتباغض وأوكار للتآمر، تنازعتهم قوميات بغيضة ووطنيات منحطَّة.

وعندما يأذن الله تعالى وتعود هذه الدولة من جديد فستعود هيبةُ المسلمين وعزُّهم وسؤدُدُهم وسيرجعون الرقم الصعب، سترجع راية العقاب خفَّاقة فوق ربوع البلاد، وينعم المسلمون وغير المسلمين بعدل الإسلام، بل إن الكفار الذين يعانون من تسلُّط حكامهم ستدافع عنهم الدولة، ومن الممكن أن تخوض حروبًا لإنصافهم؛ لأنها دولة العدل، ولأن الإسلام دين الرحمة للبشرية جمعاء. ولن تكون هناك أحلاف ولا اتفاقيات إلا تحت شروط الخليفة ولا معاهدات دائمة ولا وقوع في مطبات الدول.

وأما على الصعيد الاقتصادي، فالمسلمون اليوم يعيشون بغالبيتهم العظمى في فقر مدقع وعوز شديد، كثير منهم يصلون الليل بالنهار لتأمين لقمة العيش. والأكثر منهم لا يستطيع سدَّ حاجاته الأساسية فضلًا عن الكمالية، تُفرض عليهم الضرائب، وتؤخذ من التجار المكوس ليعودوا ويعوضونها من جيوب الناس. غلاء فاحش وفساد كبير، بل في بعض البلدان تحدث المجاعات بالرغم من كمِّ الثروات الهائل في بلادهم، فلو كانت لهم خلافة ترعى شؤونهم لوجدتهم يحثون المال حثيًا بالغالب، فالزكاة والفيء والغنيمة والركاز والصدقات والملكية العامة كلها لهم فيها نصيب، يقول ﷺ: «**النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ**». بل حتى إن الإسلام أوجد المفاهيم التي تساهم في رأب أي صدع حتى على المستوى الفردي والتي تجعلهم بنية واحدة وجسد واحد، يعطي غنيُّهم فقيرهم. يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ**». ويقول: «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**» فربْطُ الأمر بالإيمان يجعل الاندفاع للعمل ملتهبًا.

وأما في قابل الأيام، حين تقام الخلافة على منهاج النبوة بإذن الله تعالى، فسيتحقق قوله عزَّ من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ستجد مساحات شاسعة تقرب من ثلاثين مليون كيلومتر مربَّع تصبح بلدًا واحدًا ودولة

واحدة فيها ملايين ملايين البراميل النفطية التي تستخرج لتسدَّ بها حاجة الناس، فيها الفوسفات والحديد والصلب والمغنيسيوم وسائر المعادن، فيها الذهب والفضة المعدنان الثمينان، وستتم الاستفادة من الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والمفاعلات النووية وغيرها من الثروات الضخمة التي ستجعل الناس يعيشون في رخاء عجيب، ستكون المكننة الزراعية والآلات الضخمة واستصلاح الأراضي، وسيتم إحياء الموات، زروع وثمار وخراج وعشور، ستخرج الأرض خيراتها، ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾. ستزرع الجبال، بل حتى الصحارى سيكون لها حلول، سينثر القمح على رؤوس الجبال حتى لا يقال جاع طير في بلاد المسلمين.

وأما في الجانب الطبي فستكون هناك المشافي والمراكز الطبية، وسيؤمن العلاج المجاني والدواء، وستكون الصناعات الدوائية محلية، وستسخر الإمكانات لتغطية كل الأماكن، وإمكانيات مسخرة للطوارئ والزلازل والكوارث، فرق للإنقاذ وأخرى للحماية، وهذه للنقل وتلك لمهام أخرى، وهكذا... سيُعمل على استقطاب أمهر الأطباء إن لم يكونوا أساسًا موجودين في بلادنا، فنحن نرى الآن أن أمهر الأطباء في بلاد الغرب منهم كثير من المسلمين الذين هربوا من جور وظلم وتجويع الأنظمة المجرمة القائمة في بلاد المسلمين واستقطبهم الغرب برواتب مغرية.

سنجد الاهتمام الطبي وأحدث الأجهزة ستشتريها الدولة بل وستساعد من يريد شراءها من الأفراد. لن نجد احتكار الكمَّامات كما في جائحة كورونا وتصارع الدول وتآمرها على بعض، ولن نجد ترك جرحى جنود المعارك يعانون ويشكون من سوء الخدمات الطبية كما حصل عند طاغية الشام بالرغم من أنهم أصيبوا وهم يدافعون عن كيانه الهزيل، أو كما ترك نابليون جنوده في حملته على مصر جرحى لينتظروا الموت الذي يتمنونه فرارًا من الألم. وغيرها من الصفحات السوداء عند هؤلاء.

فلو رجعنا لصفحات عزِّنا حين كانت لنا دولة سنقرأ عن البيمارستانات موزعة على امتداد البقعة الإسلامية، وسنجد الأطباء المهرة الذين كانوا أساس النهضة الطبية التي نراها الآن كابن سينا وغيره الكثير الكثير. سنجد العلاج بالمجان أو بشبه المجان، سنجد البحوث الطبية والاكتشافات والعقاقير وآلات الجراحة المتطوِّرة بأحدث التقنيات، وسيكون ذلك قريبًا بل أكثر منه بإذن الله تعالى.

وأما في مجال العلوم، فإن أول آية نزلت على رسول الله ﷺ كانت ﴿ٱقْرَأْ﴾، وهي للدلالة على أهمية القراءة والعلم والتعليم. قال عز من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فلكل ميدان أهل، وقد دلت الآيات على وجوب سؤال من يجهل لمن يعلم حتى يعلم، وقال ﷺ: «**لَيْسَ مِنِّي إِلَاّ عَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»، وقال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**». والمسلمون اليوم تمارس عليهم سياسات تجهيل ممنهج، ومن ينبغ فمصيره الهجرة أو التهميش أو الاضمحلال.

لذلك سنجد الاهتمام بالعلم والتعليم في ظل الخلافة، سنجد المناهج الدراسية المبنية على العقيدة الإسلامية وستدرس الثقافة الإسلامية ويصنع العلماء صناعة منذ الصغر، ستجد علماء الكيمياء والفيزياء والذرة، ستجد المخترعات والمكتشفات وأرقى المختبرات، ستجد الجامعات التي ستصبح منارًا للأجيال يقصدها الغرب والشرق ملتمسين التعلم في جنباتها، وقد كانت كذلك من قبل، فها هو ملك ألمانيا يرسل إلى الخليفة الأندلسي برسالة ملؤها التودُّد والامتنان بأنه سيرسل وفدًا من بنات ألمانيا وعلى رأسهم ابنة الملك للتعلم في جامعات قرطبة وغيرها من حواضر المسلمين في الأندلس.

لا كما نرى هذه الأيام من ابتعاد أهل العلوم عن الناحية التطبيقية إلا ما ندر، ومن يبرع منهم إما يتم تجميده أو التضييق عليه ليرحل بعيدًا بل ويتم قتله في بعض الأحيان. ستجد التكنولوجيا وعالَم الرقميات مسخرة في طاعة الله لا في التجسس على عباد الله وليس لنشر الفساد والرذيلة.

وأما في الجانب الاجتماعي فسنجد الأعراض مصانة والأنساب محفوظة، لن نجد لقطاء ولا مشردين من غير آباء، لن نجد مكتومين ولا أبناء زنا كما في الغرب اليوم، ومن يمشي في ركابهم من بعض المسلمين، سنجد أن «المرأة أم وربة بيت وعرض يجب أن يصان»، سنجد العفَّة والطهارة والاحتشام في اللباس، لن تجد الاختلاط ولا الزواج المدني ولا المساكنة ولا العلاقات خارج إطار الزواج الشرعي.

سنجد من يذود عن حمى المسلمين ومن يسيّر جيشًا لنصرة امرأة نادت «وامعتصماه» فقتل بها تسعين ألفًا وفتح عمورية. سنجد غض البصر وحفظ الفرج، سنجد الإسلام في أدق التفاصيل حتى على مستوى استقبال الضيوف، كما ذكر أن المسلمين أيام العثمانيين كانوا يضعون لكل باب بيت مطرقتين، إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، لو طرقت الكبيرة يدرك أهل الدار أن الطارق رجل فيفتح له رجل البيت، ولو طرقت الصغيرة يدركون أن الطارق امرأة فتفتح له بعض نساء الدار...

وقد كان المسلمون أيام الخلافة العثمانية إذا مرُّوا بدار فوجدوا على بابها باقة ورود حمراء يفهمون أن في الدار مريضًا فلا يزعجونه بأصواتهم في الشارع.. لن يكون هناك سيداو

وتحرر المرأة وحقوق الطفل التي يتبجحون بها والتي لا يريدون منها إلا نشر الفساد والرذيلة وتفكك الأسرة وانتشار الزنا بدعوى الحرية الشخصية والترويج للمثلية والزواج من الحيوانات.

وأما في الجانب العسكري فستكون الجيوش الجرَّارة بالملايين بل بعشرات الملايين وأكثر حين الحاجة للتعبئة والاستنفار، مدرَّبة مطوَّرة على أحدث الأسلحة ومجهَّزة لتذود عن الحمى وتحفظ البلاد والعباد، ستسمع عبارة: «إن لم تصمت أرسلت لك جيشًا أوله عندك وآخره عندي يأتون برأسك أقدمه لعلي»، سيقول أميره «جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»، ولن تجد جيش يهود يصول ويجول ويرتكب المجازر ويعربد بل وينسق معه أحد من رويبضات المسلمين لأنك لن تجده أساسًا ولن تجد هؤلاء الرويبضات، وفلسطين ستعود لرحاب الخلافة، ويهود سيُقطع دابرهم، والحكام المجرمون إلى مزابل التاريخ،﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ستكون القطعات العسكرية والدبابات والصواريخ والمدافع وآلات الحرب، وستقوم المصانع في دولة الخلافة على الأساس الحربي، حتى وإن كانت غذائية أو دوائية أو ما شابه، لن تجوب طائرات المجرمين في أرجائنا ولن تجرؤ على قصفنا وتخويفنا، سنثأر لمجازرنا ممن انتهك حرماتنا، وستعود كما كانت السفن العثمانية يومًا ما حين تعبر البوسفور تخرس أجراس كنائس الغرب خوفًا ومهابة.

ستجد الغواصات والناقلات تجوب البحار، لن تجد من يجرؤ على الاقتراب مما يسمى المياه الإقليمية، ستجد الثروات الهائلة في عرض البحار تعود للمسلمين بعد عشرات الأعوام من النهب والسرقة، ستجد تحلية لمياه البحر واستصلاحها للشرب والسقاية. وهذا غيض من فيض، وبكلمات قليلة لا يغطى البحر الخضم والعطاء الوافر مما سيكرمنا به ربنا حين نحكّم شرعه ونلتزم بأوامره.

نسأل الله أن يمكّن لنا ديننا وأن يبدِّل خوفنا أمنًا وأن نقيم خلافتنا، فنحن في شوق كبير. اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، واهدِنا واهدِ بنا، واجعلنا من الهداة المهتدين.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقات التطبيع (اتفاقات إبراهام) والتحالف الاستراتيجي الشرق أوسطي... منافسة دولية، و(إسرائيل) قطب الرحى في المنطقة (٣)

نصر فياض - الأرض المباركة فلسطين

٣-أنابيب الطاقة (إسرائيل) قطب الرحى

يجري العمل على إحياء العديد من أنابيب النفط والغاز، وإنشاء أخرى من أجل تصدير النفط والغاز الخليجي والعراقي إلى أوروبا من بوابة (إسرائيل) مستغنية عن قناة السويس، ضمن الاستراتيجية الأمريكية لمنافسة الغاز الروسي، وتقليل اعتماد أوروبا على روسيا في تأمين احتياجاتها من الطاقة.

أنبوب (إيلات عسقلان)

هو أنبوب أنشئ من قبل إيران في حكم الشاه بالتعاون مع (إسرائيل) وتم تشغيله بعد العدوان الثلاثي على مصر، وفرض عبد الناصر قيودًا على الشحن عبر قناة السويس. وفي عام ١٩٦٨م، سجل كيان يهود وإيران شركة خط أنابيب «إيلات عسقلان» كمشروع مشترك ٥٠٪-٥٠٪ بهدف نقل النفط الخام إلى أوروبا. وفي عام ١٩٦٩م، تم الانتهاء من الجزء الأخير من المشروع بقطر ٤٢ أنش وبطول ٢٥٥ كيلو متر حيث يمتدّ من رصيف خاص في ميناء عسقلان إلى مرفأ إيلات على البحر الأحمر بقدرة ١,٢ مليون برميل في اليوم و ٤٠٠,٠٠٠ برميل في اليوم في الاتجاه المعاكس. وهو يستخدم حاليًّا في نقل الغاز الذي تستورده (إسرائيل) من أذربيجان وكازخستان ويقوم بمعظم أعماله في الاتجاه المعاكس؛ حيث يقوم بضخ النفط الذي يتم تفريغه من عسقلان من السفن المرسلة من المنتجين إلى ناقلات في إيلات، ومن إيلات يقوم أسطول ناقلات النفط بنقله إلى الصين أو كوريا الجنوبية أو أي مكان في آسيا، ويعمل بالتوازي مع خط الأنابيب أنبوب آخر يحمل المنتجات البترولية مثل البنزين والديزل، وتأمل الحكومة (الإسرائيلية)، في توسيع وتطوير أنبوب «إيلات-عسقلان» وربط أنابيب البترول والغاز في الدول الخليجية به؛ وذلك من خلال استثمارات خليجية في هذا الأنبوب، بحسب «العربي الجديد».

ووفق تقارير نشرتها صحيفة «معاريف»، فإنه في حال تحقيق الحلم (الإسرائيلي)، سيستحوذ الأنبوب على ١٢-١٧٪ من حجم الغاز والوقود الذي يمر في قناة السويس حاليًّا، وسيسبب في خسائر فادحة لمصر التي تعتمد على عائدات القناة بشكل رئيسي.

وكشفت مجلة «فورين بوليسي» الأمريكية، أن قناة السويس المصرية ستكون الخاسر الأكبر من اتفاق التطبيع الإماراتي – (الإسرائيلي)؛ ما سيساعد تل أبيب في تفعيل خط أنابيب النفط الصحراوي الذي يربط بين ميناء إيلات على خليج العقبة بالبحر الأحمر،

ومحطة ناقلات النفط بعسقلان على البحر المتوسط.

وكشفت صحيفة «ميكور ريشون «اليهودية عن عقد وزارتي الخارجية والدفاع في تل أبيب سلسلة من الاجتماعات لبحث فرص نقل النفط الخليجي شارك فيها مسؤولون كبار من شركة النفط الحكومية «كاتشا»، وتحدثت وسائل الإعلام اليهودية في أكتوبر ٢٠٢٠م عن اتفاق ثلاثي أمريكي (إسرائيلي) إماراتي «لتطوير استراتيجية مشتركة في قطاع الطاقة تشمل تطوير بنى تحتية لنقل الغاز والنفط من آسيا والشرق الأوسط إلى أوروبا، من بينها تطوير البنى التحتية لإقامة أنبوب «إيلات –عسقلان «. ووفقًا لشركة خط أنابيب نفط إيلات عسقلان KSAA المعنية بتشغيل الخط، ستتضمن المرحلة الأولى من المشروع نقل النفط من الإمارات إلى محطة شركة خط الأنابيب في إيلات، ومن إيلات إلى محطة الشركة في عسقلان، ومنها إلى الزبائن في مختلف أنحاء البحر المتوسط، بموجب مذكرة التفاهم التي وقعتها مع شركة (RED MED) «شبكة النبأ المعلوماتية.

وقال رئيس شركة الموانئ سلطان أحمد سليم: إن «(إسرائيل) ستصبح رابطًا منطقيًّا واستراتيجيًّا للغاية مع أوروبا» وأضاف: «أن العلاقات بين الإمارات و(إسرائيل) ستفضي إلى تجارة بخمسة مليارات دولار بين الجانبين» ٧/ ديسمبر ٢٠٢٠م قدس الإخبارية.

أوردت مجلة فورين بوليسي الأمريكية أن «(إسرائيل) على وشك أن تلعب دورًا أكبر بكثير في تجارة الطاقة وسياسة البترول بالمنطقة، بعد أن عزَّز اتفاق الإمارات معها خط أنابيب تم بناؤه سرًّا بين (إسرائيل) وإيران.

«ويقول مديرو شركة خط أنابيب آسيا التي تدير الخط إن القناة التي يبلغ طولها ٢٥٤ كيلومترًا من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط توفر بديلًا أفضل وأرخص من قناة السويس المصرية وخيارًا للاتصال بشبكة خط أنابيب العرب التي تنقل النفط والغاز ليس فقط إلى المنطقة؛ ولكن إلى الموانئ البحرية التي تزود العالم".

وقال التقرير إن ميزة هذا الخط على قناة السويس هي قدرة المحطات في عسقلان وإيلات على استيعاب الناقلات العملاقة التي تهيمن على شحن النفط اليوم؛ لكنها أكبر من أن تسعها القناة، ولطالما كان عمل الشركة أحد أسرار (إسرائيل) التي تخضع لحراسة مشددة.

وأشارت فورين بوليسي إلى أنه على الرغم من أن الكثير من الضجيج حول اتفاق الإمارات و(إسرائيل) ركز على قطاعات أخرى مثل التكنولوجيا والرعاية الصحية والتعليم والسياحة، فإن خط أنابيب إيلات عسقلان يضع الصفقة في عالم البترول، القلب النابض لاقتصاد الخليج.

وأضافت أن فرص صفقات الطاقة العربية (الإسرائيلية) أصبحت واسعة الآن ومربحة، بدءًا من الاستثمار في خط الأنابيب (الإسرائيلي) نفسه، إلى تكييفه لنقل الغاز الطبيعي أو توصيله بخطوط الأنابيب عبر السعودية والشرق الأوسط الأوسع.

فورين بوليسي / الجزيرة نت؛ لذلك يجري الحديث عن أنابيب عربية ترتبط بخط أنابيب «إيلات-عسقلان». فبالإضافة لما أوردته فورين بوليسي الأمريكية بهذا الخصوص فقد أوردت ويكيبيديا هذه المقترحات في موقعها:

مقترح مد الأنبوب إلى السعودية

في ١٦ سبتمبر ٢٠٢٠م، نشرت مجلة كلوبس (الإسرائيلية) أنّ (إسرائيل) بصدد أنْ تطلب من الإمارات العربية المتحدة إقناع المملكة العربية السعودية أنْ تسمح لشركة خط الأنابيب عبر (إسرائيل) بمد خطوط أنابيب من إيلات إلى مصفاة النفط في ينبع، إمّا برًّا (عبر الأردن) أو بحرًا؛ وذلك لنقل النفط ومشتقاته. وأنّ (إسرائيل) عقدت عدّة لقاءات رفيعة المستوى بين شخصيات رفيعة في وزارتي الخارجية والدفاع مع رئيس الشركة إرز كلفون والرئيس التنفيذي إتسك لڤي، لمناقشة تفاصيل الاقتراح. ويتميّز الاقتراح بخفض مدّة شحن النفط وكذلك كُلفته ومتطلبات تأمينه (المالية والعسكرية)؛ لأنّه يتفادى الشحن عبر مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس. انتهى الاقتباس «ويكيبيديا».

وحسب صحيفة كلوبس (الإسرائيلية) «الاقتصادية» يجري الحديث عن مشروع قديم احتفظت به شركة «خط أنابيب إيلات-عسقلان» للانضمام لمنظومة نقل النفط العربي ومشتقاته من المملكة العربية السعودية؛ اذ يقوم المشروع على إمكانية ربط منصة النفط الخاصة بالشركة في إيلات بالشبكة السعودية التي تصل اليوم حتى محطة تكرير النفط في ينبع على مساحة ٧٠٠ كيلو متر جنوبي إيلات. وحسب تقارير صحفية فسيتم نقل النفط السعودي من منطقة «بقيق» في أقصى الشرق السعودي إلى ميناء إيلات ليتم تصديره إلى أوروبا وأمريكا الشمالية.

والسعودية تنتظر الفرصة للإعلان عن المشاريع مع (إسرائيل) عند التطبيع معها، فقد قال كبير مستشاري الرئيس الأمريكي إن تطبيع العلاقات بين (إسرائيل) والسعودية أمر حتمي، وذلك بعد يوم من إعلان الإمارات و(إسرائيل) اتفاقهما على تطبيع العلاقات، وتأتي هذه القناعة لأن السعودية لعبت دورًا محوريًّا في تشجيع الدول المطبِّعة على توقيع اتفاقات إبراهام.

وكان ولي العهد السعودي محمد بن سلمان قد صرح خلال مقابلة سابقة لمجلة «ذي أتلانتيك» الأمريكية بأنه ليس هناك أي اعتراض ديني على أن يعيش (الإسرائيليون) جنبًا إلى جنب مع الفلسطينيين، وبلاده تتقاسم المصالح مع (إسرائيل)، لافتًا إلى أنه حال التوصل إلى سلام في المنطقة، فإنه سيكون هناك «الكثير من المصالح بين (إسرائيل) ودول مجلس التعاون الخليجي» ما يجعل السعودية منخرطة في المشاريع المطروحة في المنطقة.

مد الأنبوب إلى الإمارات

(في ٢١ أكتوبر ٢٠٢٠م، أعلنت شركة خط أنابيب إيلات عسقلان (EAPC الحكومية (الإسرائيلية) عن توصلها لاتفاق بشأن تمديد خط الأنابيب الّذي

يربط بين مدينة إيلات على البحر الأحمر وعسقلان على البحر المتوسط، إلى الإمارات.

وأكّدت الشركة أنّها وقّعت على مذكرة تفاهم مع شركة ميد-رد لاند بردج، وهي شركة محاصة (إسرائيلية) إماراتية، تملكها بترومال الإماراتية ومقرها أبوظبي، وشركة AF Entrepreneurshipوشركة لوبر لاينر الدولية للبنية التحتية والطاقة. وتوفّر هذه الاتفاقية لأبو ظبي جسرًا لنقل الوقود الأحفوري مباشرة إلى أوروبا، وتعدّ من أهمّ أشكال التعاون الّتي ظهرت بين الجانبين منذ إعلان الإمارات و(إسرائيل) عن إقامة العلاقات بينهما. وأشارت الشركة (الإسرائيلية) إلى أنّ التوقيع على الاتفاقية جرى في أبوظبي بحضور وزير الخزانة الأمريكي ستيفن منوتشن ومسؤولين أمريكيين وإماراتيين آخرين. وأنّ قيمتها تبلغ ما بين ٧٠٠ و٨٠٠ مليون دولار على مدى عدة سنوات، وأنّ الإمدادات قد تبدأ في أوائل عام ٢٠٢١) ويكيبيديا.

خط أنبوب (كركوك-الحديثة -عمان-حيفا) أو (الموصل-حيفا)

فحسب ويكيبيديا فإن (**خط أنبوب نفط الموصل-حيفا** هو خط سابق لنقل النفط الخام المُستخرج من حقول كركوك الواقعة شمال العراق إلى مدينة حيفا الفلسطينية (الآن في(إسرائيل))، مرورًا بالأراضي الأردنية يبلغ قطر هذا الأنبوب ٣٠٥ ملم، ويمتد مسافة مقدارها ٩٤٢ كم إلى أن ينتهي في ميناء حيفا لتصدير النفط إلى باقي العالم. شيدته عام ١٩٣٢م شركة نفط العراق أثناء الانتداب البريطاني على هذه البلدان، وقد استغرق العمل في إنشائه ٣ أعوام. توقف الأنبوب عن العمل نهائيا عام ١٩٤٨، بعد أن أوقفت الحكومة العراقية ضخ النفط عبره بسبب حرب ١٩٤٨ ....

بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣، بدأ بعض المسؤولين الإسرائيليين بالتحدث حول إعادة العمل بهذا الخط بعد توقفه لمدة ٥٥ عامًا. وأن الاستعدادات لمثل هذا التطور جارية. كما أكدت مصادر سياسية إسرائيلية أنه مع تقدم القوات الأمريكية والبريطانية داخل العراق، أجرت أوساط عربية حكومية مع ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون اتصالات بهدف استئناف تشغيل أنبوب النفط إلى حيفا. كما قال وزير البنى التحتية الإسرائيلي باريتسكي إن تشغيل أنبوب النفط بين الموصل وحيفا قد يخفض أسعار الوقود بنحو ٢٥٪. وكان مصدر في وزارة البنى التحتية الإسرائيلية قد أعلن في شهر إبريل (نيسان) ٢٠٠٥ أن إسرائيل كانت تجري محادثات مع المسؤولين الأردنيين من أجل إعادة تشغيل الأنبوب، إلا أن السلطات الأردنية نفت ذلك في حينها) .

ويبدو أن حالة عدم الاستقرار في العراق جعلت إحياء المشروع والاستثمارات حوله تسير بسرية بالغة تجنُّبًا لضربه أو تعطيله فقد (كشف موقع أخبار (جي أس أس) الفرنسي تقريرًا للصحفي الأمريكي «ستيفن شير» إلى أن القوات الأمريكية تحتفظ بنحو خمسين ألف جندي أمريكي في ثلاث قواعد عسكرية

«حيفا ١، حيفا٢، حيفا٣» على مقربة من خط أنابيب (كركوك-حديثة-عمان-حيفا) والبالغ طولها ٩٤٢ كم، بهدف حماية تدفق النفط العراقي إلى (إسرائيل) عبر الأراضي الأردنية مقابل رسوم عبور ضخمة، بحسب شير.

وكشَف الموقع الأخباري «جي أس أس» الفرنسي ، عن زيارة قامَت بها إدارة شركة (إسرائيل كوربوريشن المحدودة «عيدان عوفر») إلى الأراضي العراقية في مايو أيار سنة ٢٠١٠م، بهدف التوقيع على عقد لمشروع سري لبناء مصفاة لتكرير النفط في مدينة كركوك التي تبعد نحو ٢٤٠ كم شمال العاصمة بغداد.. وكشف الموقع إلى أن لقاءً جرى بين رجل الأعمال (الإسرائيلي) «عيدان عوفر» والنائب الأول لسكرتير الاتحاد الوطني الكردستاني «كوسرت رسول علي»، وبعض القيادات العراقية القريبة من صنع القرار في مدينة كركوك الغنية، والتي تضم ما نسبتها٤٠ ٪ من نفط العراق، بهدف التوقيع على المشروع السري) ٢٠١٣/٢/٥ دنيا الوطن.

وقد نقل «منتدى الفكر» وهو مبادرة لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط مقالة بعنوان «كيف يمكن لخط أنابيب (حديثة-حيفا) أن يفيد العراق» في ٢٠٢٠/١١/٢٤م مروجًا لإحياء خط الأنابيب وإنشاء سكة حديد وطرق سريعة مع (إسرائيل) من أجل خفض تكاليف النقل وتقصير زمن الشحن من أوروبا إلى العراق، بالإضافة إلى بيع النفط العراقي لـ(إسرائيل) وتأمين (إسرائيل) زبائن للنفط العراقي عبر الترويج له في العالم، وتقاضي العملات من ذلك، وأيضًا دور هذه المشاريع ومنها إحياء وتطوير الأنبوب في خفض التوترات وإحلال السلام، كل ذلك حسب المروجين للمشروع. وأنقل هنا بعض الاقتباسات من المقال للأهمية وتسليط الضوء على الأهداف من الترويج للمشروع:

(... فخطوط النفط قد تشكل بيئة ثابتة تساهم في تحقيق الأمن والاستقرار والتعاون على المستويين الاقتصادي والسياسي، على حد قول رافائيل كانديوتي في كتابه «خطوط الأنابيب: النفط المتدفق وسياسة المواد الخام» من شأن (خطوط الأنابيب أن تساهم في التخفيف من الصراعات الداخلية وحتى إنهائها). في هذا السياق ثمة مشروع مقترح لا يزال خاملًا منذ فترة طويلة ويعرف بـ«خط أنابيب حديثة-حيفا» وهذا المشروع قادر أن يصبح عاملًا رئيسيًّا من عوامل الاستقرار والازدهار في المنطقة ...) (... وإذا أمكن إبطال تأثير العناصر والأيدلوجيات السياسية أو تكييف السياسات الاستراتيجية مع خطط أكثر واقعية تهدف إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة وتحفيز التنمية المستدامة، قد يتشجع السياسيون لتجنب التجارب الشعبوية التي كان ثمنها مرتفعًا. واذا أمكن الحصول على قيادة تضغط لتبني سياسات تتماشى مع واقع الجغرافيا العراقية فإن تمديد خط أنابيب «حديثة –حيفا» سيكون مفيدًا ...) (... وفيما بدأت تتجلى بعض التغييرات في هذا الاتجاه بوسع الجهات الفاعلة الإقليمية أن تستغل اللحظة الراهنة للاستفادة من الفرص المحلية

من أجل بذل المساعي الدبلوماسية اللازمة لإنشاء خطوط الأنابيب، فإذا أعيد مثلًا إحياء مشروع خط أنابيب «كركوك –حيفا» بالترافق مع خط سكة حديدية مواز وطرق سريعة، ستشهد المنطقة بأسرها تغييرًا جوهريًّا في ظروفها السياسية والاقتصادية ...) (... فالعراق سيحصل على طريق تجارية أقصر وأسهل إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط... ما يؤمن طرقًا أكثر مباشرة إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية ويقلل من تكلفة نقل الواردات، وسوف يسمح كلا المشروعين بوصول الواردات العراقية مباشرة من المصادر الأوروبية والأمريكية إلى ميناء حيفا ...) (... ولكن مع خط الأنابيب والسكة الحديدية والطريق السريعة يمكن خفض تكاليف النقل والمعالجة المترتبة عن هذه الرحلة وتقصير زمن الشحن أيضًا. وحيث إن نسبة ٣٣٪من الواردات العراقية السنوية تأتي من أوروبا أو الولايات المتحدة، فإن هذا الانخفاض في التكاليف وأوقات الشحن سيكون نعمة كبيرة على الاقتصاد العراقي، فضلًا عن ذلك، سيتيح خط الأنابيب بيع ٣٠٠ ألف برميل من النفط العراقي يوميًّا في السوق الإسرائيلية وبالأسعار الراهنة ...) (وسوف تنافس الشركات الإسرائيلية المتمرسة في هذا المجال على ترويج النفط العراقي وتسويقه نظرًا لقدرتها على الوصول إليه بسهولة، وذلك من أجل تقاضي العمولات ...) (... باختصار عند تنفيذ المشروع في ظروف سياسية مؤاتية من شأنه أن يفتح المجال أمام زيادة النشاط الاقتصادي، وتعزيز القوة السياسية للدول المعنية الثلاث (إسرائيل)، الأردن، العراق) وبشكل عام قد يكون هذا الازدهار والتعاون الناتج بين الأطراف الفاعلة في المنطقة مصدرًا رئيسيًّا للسلام والاستقرار فيها).انتهى الاقتباس.

وفي سياق متصل، فقد وقَّع العراق مع الأردن اتفاقًا لمد أنبوب نفط من البصرة إلى العقبة (وأكدت أن المرحلة الأولى من المشروع الذي يبدأ من جنوب العراق حتى مدينة حديثة سيتم تنفيذه وإنجازه بالكامل من خلال الحكومة العراقية، بينما سيتم إنجاز المرحلة الثانية التي تصل إلى ميناء العقبة الأردني بطرحها للاستثمار.

وأضافت أن العمل يجري حاليًّا على دعوة الشركات الاستثمارية وتأهيلها من أجل المشاركة في المرحلة الثانية من المشروع ...) سكاي نيوز ١٠ أبريل ٢٠١٣م.

اللافت في طرح هذا المشروع تلاقيه مع إحياء خط أنابيب «حديثة –حيفا». فالتمويل العراقي ينتهي عند أنبوب نفط الحديثة، والأنبوب من الحديثة للعقبة سيطرح للاستثمار الأجنبي حسب الاتفاق الأردني العراقي والذي سيبلغ تكلفته ١٦ مليار دولار والتي لا تملكها الأردن ما يجعل المشروع له أبعاد دولية وليس له علاقة بالأردن سوى الفائدة التي سيجنيها الأردن كعراب للمشروع؛ وذلك بسبب عبوره الأراضي الأردنية لـ(إسرائيل) علمًا أن العقبة هي على مرمى حجر من أنابيب (إيلات – عسقلان). ■

بسم الله الرحمن الرحيم

خصائص ومقومات الحضارة الإسلامية معجزة! فكيف استبدل المسلمون بها غيرها!

ثائر سلامة، أبو مالك

لئن أنعمنا النظر في مقومات الحضارة الإسلامية وخصائصها التي ميزتها على غيرها من الحضارات، فإننا سنجد أنها تميزت بِرِقيٍّ تَصَوُّرِها عن الكون والإنسان والحياة، ثم في تَمَثُّلِ هذا التصورِ في إطارِ منهجٍ عَقَدِيٍّ شاملٍ راقٍ كُلِّيٍّ غَائِيٍّ يفسّرُ الكونَ والحياةَ، يحددُ علاقات الإنسان بالحقائق الكونية الكبرى[1]، وعلاقاتها هي بالإنسان، على وجه صحيح، ويوضح له غايته من الوجود، ويبينُ للإنسان موقعه ومسؤولياته ودوره في الحياة، رابطًا ذلك بما قبل الحياة الدنيا، وما بعدها.

ولقد صبَّ الإسلامُ ذلك المنهجَ العقديَّ الشاملَ في قالبٍ «ذاتيٍّ مستقلٍّ، وفق طبيعته الكلية، التي تخاطب الكينونة البشرية جملةً، بكل مقوماتها وطاقاتها، ولا تخاطب «الفكر البشري» وحده خطابًا باردًا مصبوبًا في قالب المنطق الذهني»[2]، فزاوج بين الإيمان والعمل الصالح! فكان عقيدةً نابضةً بالحياةِ، لا فلسفة جافَّةً باردةً، كان مفاهيمَ حيويةً تحركُ النفوسَ، وتبعثُ في أَرْجَائِها السَّكِيْنَةَ والطُّمَأْنِيْنَةَ والتَّأَثُّرَ والتَّأْثِيْرَ، والتَّفْكِيرَ والتَّدبُّرَ، والانطلاقَ لحملِ رسالتِهِ، والثِّقَةَ المطْلَقَةَ بالوصولِ للحقيقةِ المطلقةِ وامتلاكِها، والعمل بمقتضاها!.

وزاوج الإسلام في الأهمية بين ذلك التصور العقدي، وبين النظام المتمثل في طريقة العيش، فسنَّ الإسلامُ للإنسانِ مسؤولياتٍ وواجباتٍ وعلاقاتٍ مجتمعية، وفلسفةً متكاملةَ الأسسِ والمقوماتِ، منبثقةً من ذلك التصوُّرِ الاعتقاديِّ وتستندُ إليهِ، تتعلقُ بنفسِهِ وأسْرَتِهِ وأقاربه ومجتمعه ودولته، بل وبالبشرية جمعاء، وبالبيئة، تحقق العدل والإنصاف وتوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة والحق العام، متميزةً «**بالدقة** المتناهية في بناء الأحكام حتى لكأن الدارس الباحث في مسائل الفقه الإسلامي وآراء الفقهاء ونظرياتهم يشعر كأنما هو أمام ميزان حساس يوزن به الألماس، وتظهر به الفروق بين المتشابهات مهما دقت وغمضت»[3].

ولقد وسِعَ التشريعُ الإسلاميُّ واستوعبَ مشاكلَ الإنسانِ؛ فقد عالج الإسلامُ المشاكلَ علاجًا جذريًا متعلقًا بجنس الإنسان، لا علاجًا متعلقًا بِزَيدٍ أو عُبَيدٍ، وراعى في العلاج زاوية تعلُّقِ العلاجِ بالأفعال، (في حين أن العلاج في الحضارة الغربية انطلق من زاوية تحقيق الحرية، والمنفعة المادية)، وأنزل الإسلامُ الأحكام على الوقائع، وتميَّز التشريع الإسلامي «بالغنى بالنظريات القانونية في تنظيم الحقوق والالتزامات ومصالح المجتمع بصورة شملت كل شُعَبِ القانون المعروفة إلى اليوم، مبتدئة من علاقة الإنسان بأسرته من أحكام الزواج إلى الميراث وما بينهما، وتنتهي بأحكام

١ الله، والربوبية، والألوهية، والملك والسلطان، والحاكمية، وصلة الخلق والتنظيم والتدبير.

٢ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، الشهيد سيد قطب رحمه الله، كَلِمَة في المِنْهج.

٣ الدكتور مصطفى الزرقا، خصائص التشريع الإسلامي، نشر في العدد الرابع عشر من مجلة الوعي الإسلامي السنة الثانية صفر ١٣٨٦هـ ٢١مايو ١٩٦٦م.

القانون الدّولي المنظم لعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم والدول سلمًا وحربًا. كل ذلك نظَّمه النظام القانوني في الشريعة الإسلامية بأعدل القواعد، وأحكم الأحكام، وأسمى المبادئ وأخلدِها وأكثرِها رعايةً للمُثُلِ الإنسانيةِ العليا، وتطعيمًا للعنصر القانوني بالعنصر الخلقي.»[٤]

كما وتميَّز التشريع الإسلامي **بِنَصْبِ مجموعةٍ من القيمِ الرفيعةِ، ومكارمِ الأخلاقِ[٥]، والمقاييسِ المرجعيةِ للحقوقِ، والمقاصدِ التشريعيةِ**، والتي بدورها ستتحول إلى قيمٍ يرادُ لها أن تتحققَ في

٤ الدكتور مصطفى الزرقا، خصائص التشريع الإسلامي.

٥ فالتاجر مثلا اختار التجارة وانتهى عن الربا وفقًا لمنظومة وإطار (الحلال والحرام)، ملتزمًا بما يسمح به الوحي وما يمنع، يمتنع عن بيع الخمر وإن كانت فيه مرابح مادية دنيوية لأنه ملتزم بإطار الحلال والحرام لا بإطار المادة وجني الأرباح، ويجب عليه أن يتحرى الصدق، وممنوع عليه الغش، وفقًا لمنظومة وإطار (الأخلاق)، وممنوع من الاحتكار (يظهر فيه استغلال حاجة الناس لجني الأرباح) (وفقًا لمنظومة الاقتصاد الذي يُعنى بعلاج مشاكل المجتمع وضمان كيفية توزيع الثروة ووصول الناس لقضاء حاجاتهم)، كما أنه أمره بالتقوى في كل حال ومع كل فعل، (مراقبة الله) وهذا إطار عام يلزم في كل فعل يضمن تحقيق غايات كثيرة تتعلق بالحرص على التزام النظام الإسلامي بشكل عام في كل شأن، وأمره بالإحسان، (وهو إطار عام يتكفل بإتقان وإحسان كل عمل يعمله)، واعتبر سعيه في الرزق طلبًا للحلال نوعًا من العبادة يؤجر عليه؛ إذ لو داخله الحرام أثم، فلا يأكل إلا حلالًا، (وهذا إطار جمع الاعتقاد بالعبادة، فهو إطار عقدي ناظم لتصوره لطبيعة نتيجة عمله المادية؛ إذ تربطه بالاعتقاد ولا يكتفي بالسعي لجني الأرباح بأي طريقة كانت)، وأمره بالأخذ بالأسباب، (وهو إطار عام مطلوب في كل عمل ليحقق غايات دينية ودنيوية، فيختار سلعًا معينة للتجارة بها، تدرُّ عليه الربح أو يحتاجها المجتمع وهكذا، فهو إطار دافع لحسن اختيار أفضل الأعمال المحققة لغايات الإنسان والمجتمع، فلم يغفل الإسلام مصلحة هذا التاجر ومنفعته وحاجات المجتمع)، والتوكل على الله، (وهو إطار عقدي جامع مانع، يتجاوز معضلة إخفاق بعض الأسباب في تحقيق المراد، فيربط عمله بالاتكال على الله ليدبر له من شأنه ما لا يستطيعه بأسبابه التي قدرها بمعطياته الإنسانية البشرية القاصرة)، وربط عمله بمفهوم الرزق أنه على الله، فلا يخاف إلا الله، وهو إطار ضامن بأن لا يعتبر التزامه بأفعال أخرى مؤثِّرًا على عمله كتاجر، كأن يقول بالحق أينما كان، ولا يخشى إلا الله، وأمره بتطهير ماله بالزكاة، والصدقة، (وهو إطار يصب في تحقيق غايات مجتمعية يتكامل فيها النظام الاقتصادي بالاجتماعي ليحقق التكافل الاجتماعي ويكفي حاجات من لا يستطيع قضاء بعض الحاجات. وهذا الإطار يتضمن أيضًا أن يقوم بهذه الصدقات والزكاة لا من باب الإحسان للفقير فقط، ولكن من باب مسؤولياته المجتمعية التي أناطها الإسلام به، ومن باب الولاية العامة بين المؤمنين بعضهم بعضًا، فهي أطر كثيرة تحقق غايات عظيمة خطيرة)، ووضع على السوق محتسبين، وأمر التجار بالفقه في الدين لمعرفة الحلال من الحرام في معاملاتهم، وهكذا تجد المزاوجة بين الأفعال وبين الأخلاق وبين القيم التي تمثل الغاية المطلوب تحقيقها من وراء تلك الأفعال، والتي يراد لها أن تسود! وبين الفعل وبين الثواب والعقاب، والتخويف من عقوبة الدنيا والآخرة، والمفاهيم العقدية، وهذا من شأنه أن يضمن تكامل الأنظمة المختلفة لتحقيق غايات مجتمعية وأخروية، وكل ذلك يجتمع في عمل واحد!

فلم يعد التاجر يمارس التجارة فقط، بل تتجسد فيه مجموعة القيم والأخلاق والمقاييس والمقاصد والمفاهيم العقدية وأنظمة الإسلام المختلفة في آن واحد وهو يمارس التجارة!

وهذا بالضبط هو ما ضمن فعالية تطبيق نظام الإسلام وسرعة الاستجابة لتشريعاته، فما هي القوانين الناظمة لعمل التاجر في الحضارة الغربية العلمانية؟ ضرائب! ممنوع غسيل الأموال (كي تعرف الدولة ما لها من ضرائب!)، التنافس الشريف، promotion of competition and fair trading، وهو ما قضت عليه الشركات الكبرى باحتكار السوق بسبب قوتها وهيمنتها والتجاء التجار الصغار إليها وإلا لم تنجح تجارتهم، فهذا = التنافس الشريف مجرد شعار غير متحقق في الواقع، حماية المستهلك، وهو ما قضت عليه الشركات الكبرى بالتجسس على هذا المستهلك لتبيع رغباته واحتياجاته للتجار الآخرين عبر منصاتها، فتجني الأرباح! وممنوع أن يبيع الدخان والخمر والقنب الهندي للقاصر، ويسمح له بيعها على ما فيها من ضرر للبالغ! لأن المهم هو كسب المال وتنميته! هل من شيء آخر؟ راجع إن شئت ما يسمى: Trade Legislation Acts and Regulations في أي بلد رأسمالي، وهذه القوانين بالطبع ليست منبثقة من المبدأ العلماني، وإنما شأنها شأن أي قوانين في الدول العلمانية تسنها الهيئات التشريعية بما تمليه عليهم مصالح الدول وتسيير شؤونها، فهذا مثال يبين الضمانات التي تحقق فعاليّة تطبيق التشريع الإسلامي في الواقع، مقارنة بفشل التشريعات البشرية التي تستعمل عصا القانون لتطبيق التشريعات ولا تحيط التشريعات بأي سياج يضمن فعاليتها!.

الحياةِ، وأن تسودَ العلاقاتِ في المجتمعِ، وراعت ذلك في حال التشريع والتطبيق مما يفضي للدمج بين القوانين والتشريعات وبين غاياتها، فيُلمس أثرها في المجتمع **نظامًا متجانسًا متكاملًا فعّالًا**، يأخذ بعضه برقاب بعض، ويجد المرء والمجتمع وازعًا من التقوى والقيم والأخلاق حين التطبيق، فيفضي للسعادة والاستقرار، وهذا كله مما لم يدرك الشارعون البشر شيئًا منه ولا خطرَ لهم ببالٍ!

ويتميز التشريعُ الإسلاميُّ بوضعهِ للقوانين أهدافًا مرادةً من ورائها، وحِكَمًا باعثةً عليها، وأسبابًا[٦] **ومقاصد** دافعةً اليها[٧]، **أي سيضع مقاييس للقوانين والتشريعات**، وتشكل الإطار الذي تتحرك في نطاقه كافة القوانين في مختلف مجالات الحياة[٨]، والأصل أن تتكامل القوانين فيشد بعضها أزر بعض، فنظام العقوبات مثلًا ينبني على حسن أداء النظام الاقتصادي والتكافل الاجتماعي ومسؤوليات الدولة الرعوية[٩]، وهكذا، فالقوانين - شرعيةً كانت أم وضعيةً- إنما وضعت لتكون خادمةً **للقيم** التي يراد لها أن تسود حياة الناس[١٠]، (أي **المفاهيم والقناعات** التي يقوم عليها

---

٦ بالنسبة للشريعة الإسلامية نعني بالمقاصد والأسباب هنا: النتيجة التي تترتب على الشريعة، أي الحِكمة الناتجة عن تطبيقها، وليس الباعث على تشريعها، أي غاية الشارع التي يهدف إليها من تشريع الشريعة، لا العلة بمفهومها الأصولي، ولا تلتمس العلة الباعثة على التشريع، ولا الحِكمة إلا إذا ذكرهما الشارع، وقد جاءت آيات تبين غايات كلية وحِكَمًا تنتج عن تطبيق الشريعة مثل كونها رحمة، ومثل قيام الناس بالقسط، وما شابه، وقد استنبط الفقهاء مقاصد للشريعة كما هو مقرر في كتب الأصول، وليس البحث هنا في كل حكم شرعي، إنما في مقاصد الشريعة ككل، وأثر تلك المقاصد على القوانين الضابطة للعلاقات في المجتمع.

٧ من العلوم القانونية الموازية لعلم مقاصد الشريعة الإسلامية علم فلسفة القانون (أو الفقه) الذي صار يحتل مكانة رائدة في الدراسات القانونية الغربية تحت مسمى: (Philosophy of law)، نظراً لطبيعة موضوعاته التي تركز على الاهتمام بدراسة قواعد منح السلطة وطاعتها، والغايات والحِكَم التي تكمن وراء النظم القانونية، والكشف عن العلاقة بين القانون والمجتمع، وهي عمومًا تدور حول: حماية «حقوق الإنسان»، وتحقيق العدالة والصالح العام؛ والاستقرار القانوني والأمن القانوني وكل هدف له أسس يقوم عليها ووسائل تؤدي إلى تحقيقه، ويبحث في طبيعة القانون لا سيما في علاقته بالقيم الإنسانية والممارسات والمجتمعات، والأخلاق -ارتباطه ببعض العناصر الأخلاقية؛ بحسب مذهب القانون الطبيعي، أو بالعكس: ضرورة انفصاله عنها كما أسس المذهب الوضعي للفصل هذا؛ فلا يتضمن القانون في محتواه أي عناصر أخلاقية، وتحاول تلك الفلسفة التأسيس لتشريعات بحيث تصلح لكل القوانين (لا لقانون بلد معين) في كل الأوقات (لا في زمن معين). أنظر: مقاصد القانون الوضعي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، بقلم د. عليان بوزيان منشور في العدد 150 من مجلة المسلم المعاصر، وانظر: مبادئ فلسفة القانون، ترجمة د. زهير الخويلدي، شبكة النبأ المعلوماتية، عن: الموسوعة البريطانية. وانظر: فلسفة القانون، مفهوم القانون وسريانه، البروفيسور روبرت ألكسي، تعريب الدكتور كامل فريد السالك، منشورات الحلبي الحقوقية، ص ٩.

٨ أنظر فصل: إقامة الخلافة من مقاصد الشريعة الكبرى في كتابنا: الخلافة والإمامة في الفكر الإسلامي.

٩ مثال ذلك أن النظام الاقتصادي، والتكافل الاجتماعي، ومسؤوليات الدولة الرعوية في الإسلام تكفي الفرد حاجاته، فإذا ما سَرَقَ الفردُ بعد ذلك يكون قد اعتدى واستحق العقوبة، وحين يسرق الجائع في يومِ مَسْغَبَةٍ فإنه لا يُقْطع؛ لأن الحدود تُدْرَأُ بالشبهاتِ، وهكذا فالأنظمة تتكامل ويأخذ بعضها برقاب بعض لأداء وظائف كلية في المجتمع!

١٠ من أهم وأجل القيم الإسلامية قيمة تحقيق العبودية لله وحده دون غيره، بمفهوم العبودية الواسع، وبمفهومها

السلطان أي الدولة)، كقيمة العدالة، (قيل: العدل أساس الملك)، وهذه القيم نفسها قد تختلف باختلاف العقائد التي تقوم عليها المجتمعات، وهنا مربط فرسٍ، فقد تكون القيم هذه مُضَلِّلَة، لا تعدو أن تكون شعارات لا واقع لها، إذا ما وزنت بميزان الآيديولوجيات التي تحكم المجتمع، فقد تجد تلك القيم سرابًا مضلِّلًا لا أثر له في الواقع! وذلك كقيمة «التعددية» التي نادت الديمقراطية بها؛ ولكنها في الواقع قصرتها على تفرد الأحزاب العلمانية بتكوين الأحزاب السياسية التي يسمح لها بالحكم، دون غيرها من الأحزاب الآيديولوجية الأخرى، وقصر تعددية الثقافة على الناحية الفردية في المجتمع، دون تشريعات وقوانين الدولة!

فكان الأصل أن تقوم الدول على عقائد صحيحة قبل النظر في صحة تشريعاتها وقوانينها؛ لذلك فإن قيام الدولة على عقائد منقوضة فكريًّا كالعلمانية[١١]، أو مستحيلة الوجود عمليًا، كالديمقراطية[١٢]، يضع المشرّعين في تلك الدول أمام عقبة كأداء، وهي استحالة قيام القيم التي تَدَّعِي الدولةُ تحقيقها، ومن ثم فالقانون الذي لا يخدم القيم ولا يساعد على حمايتها في المجتمع، يصبح بلا فاعلية ولا فعالية.

فإن كانت القيم نفسها خطأ أو مستحيلة التحقيق (مثل بناء الانتخاب على رأي الأغلبية)، كانت القوانين خطأ لِبِنَائِها على الخطأ، فكان لا بد من وجود معايير قابلة للتحقيق، وقيم يَرجع إليها المجتمعُ لتنظيم السلوك الاجتماعي، وللحفاظ على الحقوق المشروعة لكل فرد، ولفك التصادمات بين المقاصد حين تصادمها (كأن يفضي التشريع إلى تحقيق مقصد على حساب مقصد آخر، مثل الخصوصية والأمن حين يتعارضان، فتتجسس الدولة في الغرب على الأفراد وتنتهك خصوصيتهم وحريتهم بحجة الحفاظ على الأمن.

أو أن تحقق بعض القوانين قيمًا معينةً وتناقضها قوانينُ أخرى تهدم هذه القيم، مثل تحقيق حرية التعبير وحماية حقوق المرء بالمحاكمة العادلة تتصادمان مع قانون الأدلة السرية في أمريكا والذي يحرم المتهم من معرفة جريمته ومن الدفاع عن نفسه بحجة أن عرض أدلة جريمته

الخاص بموضوع التشريع، واعتبار التشريع حقًا له وحده، (كتابًا وسنةً)، وأن اتباع الناس بعضهم بعضًا في التشريع هو بمثابة اتخاذهم أربابًا من دون الله!

١١ وقد قمنا بإلقاء إضاءات كبيرة على مفهوم العلمانية في كتابنا: «الصندوق الأسود للفكر الغربي: الإسلام والديمقراطية والعلمانية والليبرالية مقارنة للأسس الفكرية» نقضت أسسه الفكرية نقضًا.

١٢ من ضمن القيم التي تقوم عليها الديمقراطية وتتوقف الديمقراطية عليها وجودًا وعدمًا: أولها: تحكيم رأي الأغلبية في المجتمع، ومنع تركز السلطات بيد الأقلية، أو استغلالها، وتمثيل السلطات لرأي الشعب، وهذه القيم الثلاث يستحيل تحقيقها في الواقع، والنظام الغربي كله قائم على تمازج وتداخل السلطات وتركيزها بيد الأحزاب الحاكمة، والتشريعات يقوم بها قلة من فقهاء القانون والقضاة، ولا يرجع إلى الشعب إلا في أقل القليل منها، وللموضوع تفاصيل كثيرة جدًّا أفردنا لها فصلًا خاصًّا في كتابنا: «الصندوق الأسود للفكر الغربي: الإسلام والديمقراطية والعلمانية والليبرالية مقارنة للأسس الفكرية» فراجعه، ولكن الديمقراطية فلسفة خيالية مضللة، يستحيل أن توجد في أرض الواقع!

يهدد الأمن القومي، فلا هو يعرفها ولا القاضي، ولا يحق له الدفاع عن نفسه، فالقوانين تناقض المقاصد وتناقض بعضها بعضًا، وهذا التناقض جذري[١٣] ينسف أوله آخره[١٤]، وليس بالتناقض العرضي الذي يحل إشكاله).

وحرص الإسلام كل الحرص أن يتمثل هذا النظام وهذا التصور العقدي على صورة عُرفٍ (أعراف) مجتمعية، وأضحى الخروج على القيم والأخلاق والمقاييس والمفاهيم والقناعات التي وضعها الشارعُ جريمةً يعالجها الشارع على مستويات عدة تتناسب مع حجمها وأثرها، فمن مسؤوليات مجتمعية تتمثل في النصيحة والإرشاد والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحاسبة والإنكار والتغيير (باليد أو باللسان أو بالقلب)، ووضوح دور الفرد والأحزاب السياسية والدولة فيه، إلى الأَطْرِ على الحق أَطْرًا، ومنع مجالسة فاعل المنكر، إلى رفع السيف واستعمال القوة لتغيير المنكر، إلى مسؤوليات الدولة من العقوبات، إلى غير ذلك من الأُطُرِ التي تحافظ على سواد مجموعة القيم والمقاييس والقناعات المنبثقة عن العقيدة والتي تشكل الإطارَ الناظمَ للشريعةِ وأحكامِها، والتي توجد نمطًا خاصًا من العيش، ونظامًا يصلح به الإنسان ويَسعَدُ به، ومنظومةً من العُرَفِ التي يعتبر نقيضها منكرًا محارَبًا منبوذًا!

يقول القاضي د. وفيق زين العابدين: «التشريع الإسلامي يحمي القيم الأخلاقية والإنسانية بنصوص أكثر فعالية من التشريعات الوضعية: فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الأخلاق، وهذه إحدى سمات التشريع الإسلامي فحسب؛ إذ تُوجَّه العقوبات في الشريعة الإسلامية قِبَلَ كُلِّ ما يَمَسُّ الأخلاقَ الفاضلةَ دون أن يتوقف ذلك على رضا المجنيِّ عليه أو تَخَلُّفِ ضررٍ ما عن الجريمة؛ لأن غرض حماية الأخلاق يعلو على غرض حماية المجنيِّ عليه في حد ذاته، باعتبار أن الغرض الأول يتعلق بالمصالح المشتركة والنظام العام للمجتمع، والتراضي بين الجاني والمجني عليه لا يجعل الفاسد صالحًا ولا يُحل ما حرم الله؛ لذا فالشريعة تعاقب على شرب الخمر والرِّدَّة والفُحش والزِّنا والفُجور والشُّذوذ بغضّ النّظر عن رضا طرفي الجريمة، ولا سلطان للحاكم في العفو عن هذه الجرائم؛ لأن التساهل في شأنها يؤدي إلى تحلُّل الأخلاق، [وتحلُّل الالتزام

١٣ حين أراد حزب المحافظين في كندا تمرير قانون الأدلة السرية، كان يواجه مقاومة شديدة في البرلمان لفظاعة شكل القانون، فقام الحزب بزراعة عميل وسط شباب مسلمين، حاول إقناعهم بالقيام بأعمال إرهابية، ولفَّق لهم تهمًا إرهابية بأنهم كانوا يريدون تفجير البرلمان ومقرَّات الدولة، وثارت ضجة إعلامية كبيرة الأصداء، فلما جاء يوم التصويت لم يجرؤ على معارضة القانون أحد، ومرَّ القانون، ثم دارت الأيام ولم تثبت التهم والقضايا على أي من المتهمين، ولم يراجع أحدٌ أحدًا بتسلسل الأحداث، وأضحى القانون قانونًا!

١٤ فحين تتجسس الدولة على قلة يهددون الأمن -بزعمهم- ثم تستمرئ الأمر فتسحب التجسس ليعم الناس كلهم بالتجسس الإلكتروني الذي يحصي على الجميع أنفاسهم وخطواتهم وتفكيرهم ورغائبهم وطبائعهم؛ لاستعمال هذا كله لتباع المعلومات للأحزاب السياسية، وللمسوِّقين للسلع، وأصحاب رأس المال، وللأجهزة الأمنية، فإن الخصوصية قد ذهبت بغير رجعة، فالقانون الثاني نسف الأول بلا رحمة!

بالأحكام الشرعية] وفساد المجتمع واختلال أمنه ونظامه.»[١٥]

وقد كان الملمح الأهم للتشريع الإسلامي متمثلًا في انبثاق النظام عن المعتقد «انبثاقًا ذاتيًّا، غير مفتعل»[١٦]، فكان عميق الجذور، منسجمًا مع العقيدة التي قام عليها، خاليًا من التناقضات والاختلافات والنقص والخلل والعبثية، تتكامل نظمه السياسية، بشكلها المحدد، وخصائصها الرعوية، الضامنة لتحقيق العدل والأمن وإحقاق الحقوق، وفضِّ الخصومات، والرعاية الصحية والتعليم، ونشر الدعوة والحفاظ على المبادئ التي قامت عليها الدولةُ، مع فلسفته الاقتصادية الاجتماعية بكل أسسها ومقوماتها الهادفة لبناء المجتمع وفق نظامٍ ضامنٍ لكفالةِ الحاجاتِ الأساسيةِ، «تتوازن فيه حقوق المرأة وحقوق الرجل، وحقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق المجتمعات، فلا يُسحق الفرد باسم الجماعة، ولا تُهدر مصالح الجماعة لمصلحة فردٍ أو حزبٍ أو فئةٍ، ويقوم على التكامل بين الأفراد: الذكر والأنثى كلٌّ له رسالة محددة يكمل بعضهم بعضًا، وتقومُ حياة الناس بمجموعهم على التكامل لا على الصراع، وتقوم على أن يحب الفرد المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، فَهُم كالبنيان وكالجسد الواحد يكمل بعضهم بعضًا؛ الغني مع الفقير تقوم حياتهم على **التكامل والتكافل والموالاة والمسؤولية** لا على الحسد والتباغض والصراع الطبقي المقيت الذي يظهر في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، وأيضًا التكامل في المهمات المتعددة والمناشط والمواهب الإنسانية التي يكمل بعضها بعضًا، فلا يمكن للفرد أن يصنع لنفسه كل حاجاته ولكن الجماعة في الإسلام تتحقق في رحابها جميع معاني التكامل في الحياة والتكافل الذي يحقق مصالح الدنيا والآخرة»[١٧] وتوزيع الثروات والاستفادة من المرافق والخدمات.

ويشكل هذا التكامل ضمانة لفعالية تلك الأنظمة، وبصورة تتواءم حلوله مع فطرة الإنسان، ومع عناصر كينونته الإنسانية، فتتعامل مع مقوماتها، وطاقاتها، ملبية حاجاتها الأساسية الحقيقية المنبثقة عن طاقة الإنسان الحيوية -ممثلة بغرائزه وحاجاته العضوية- تلبيةً متَّزنةً غائيةً، راقيةً بالإنسان عن درجة البهيمية في إشباع تلك الغرائز والحاجات، غير متصادمةٍ مع أشواقه الروحية، ومتناغمةً -في الوقت ذاته- مع واقعه الإنساني الماديّ المجتمعيّ، غير قائمةٍ على الأهواء والمصالح الآنية الضيقة، كما هو الحال في سائر التشريعات والنظم البشرية السائدة في العالم اليوم!

ولقد راعت تلك التشريعاتُ الربانيةُ إنسانيةَ الإنسانِ وعقلَهُ ونفسيتَهُ، وراعت أنه يعيش في عالم مادي، يعجُّ بالمشاكل والنوازل، فكانت سمة التشريع المعجزة قدرته على النفاذ إلى أعماق

١٥ محاسن السياسة الجنائية الإسلامية، د. محمد وفيق زين العابدين، مجلة البيان العدد ٢٨٨.

١٦ أنظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، الشهيد سيد قطب رحمه الله، كَلِمَة في المَنْهج.

١٧ خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالمحسن الصويِّغ. موقع الألوكة. بتصرف.

المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها، وما يتأثر بها، والنظر إليها نظرة محيطة مستوعبة، مبنية على معرفة النفس الإنسانية، وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وأشواقها، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها، ثم وضع التشريعات الضامنة لإيجاد المجتمع الصالح والإنسان المصلح، وتحقيق المصالح للإنسان على وجه صحيح، يحقق الخير ويمحق الشر! يبسط العدل ويمحو الظلم!

ثم كانت معجزة التشريع الأخرى متجسدة في ربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية؛ بحيث يكون التشريع في خدمتها وحمايتها، ولا يكون معولًا لهدمها. كما وتميزت الشريعة بما لا يوجد في غيرها من التشريعات، فقد جعلها الإسلام مقاييس مبنية على الاعتقاد، فكانت وازعًا عقديًّا يزع الإنسان للالتزام بها مخافة الله، ومحبة في الله، ورجاء في جنب الله، مما يغني الإنسان عن الحاجة إلى قوة مصلتة عليه لتردعه ليلتزم القانون، بل تجعله يخضع لسلطان الله في السر والعلن، فلا يرى الإفلات من عقوبة الحاكم في الدنيا غنيمةً ولا مكسبًا، فهو يعلم أن الله يراقبه، وعقوباتها دنيوية وأخروية.

ولقد تبلورت مجموعة القيم التي صاغتها الحضارة الإسلامية، والتي تؤسس للقناعات التي سيحيا عليها الناس، وترسخت في صميم العلاقات التي يقوم المجتمع عليها، فاقترن حفاظ الأمة والمجتمع على منظومة تلك القيم وحراستها، ومنع أضدادها أو ما يفسدها، (أي بفريضة الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر بكل أنواعها) برقي الأمة ونهضتها، وخيريتها، وانسجامها مع نفسها، واقتعادها مقعد الذروة أمام غيرها من الأمم، فكانت حصنًا منيعًا شديدًا يحمي ويحفظ.

واقترن تغلغل الخلل لفهم وسيادة تلك القيم في الأمة بهبوطها وفرقتها، وتضعضع بنيان ذلك الحصن المنيع، حتى أصبحت -حين جافت التشريع الإسلامي ونأت عنه- نهشًا لسهام أعدائها، فوضعت الأمة في مهب ريح الاستعمار والتبعية، ومع ذلك، فإن لِقُوَّةِ العقيدةِ الإسلاميةِ، وصحة ودقة الشريعة الإسلامية من الأثر ما جعل الأمة وهذه الحضارة تصمد أمام زلازل ونوازل وحملات صليبية ومغولية وأمام محاولات إفنائها مرة بعد مرة، وعلى مدى قرون طويلة، وحقب متراخية، تراوحت بين الشدة والرخاء، والتطبيق البشري الحسن والسيئ لهذا النظام الرباني. ولا يمكن أن ترتقي هذه الأمة وتقتعد مكانها السامق ثانية إلا إن حرصت على أن تسقي تلك الحضارة ومكوناتها حتى تبقى وارفة الظلال، شديدة الخضرة، فتبلور مفاهيمها -ثانية- بلورة دقيقة، تحسن فيها فهم تلك القيم ودورها في النهضة، وتُصفِّيها مما علق بها من الشوائب في عصور الانحطاط، وتربط كل فكر فيها بالوحي، وتنقيها مما أدخل عليها من مفاهيم وقيم الحضارات الأخرى، وكلما أحسنت الأمة الإسلامية ذلك كانت أقدر على النهوض والسير في معارج العلا!. ■

بسم الله الرحمن الرحيم
هل بات العلماء بيضة القبان؟ (٣)

عبد الرحمن العامري - اليمن

بين العزِّ بن عبد السلام ونجم الدين أيوب:

كان لمماليك الأراك نفوذ في الدولة الإسلامية في أواخر حكم العباسيين، وامتد نفوذهم حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام حكم نجم الدين أيوب في مصر، وكان الشيخ العزّ قاضيًا للقضاة فيها، وقام (رحمه الله) مصلحًا لأمر القضاء منفِّذًا بحزم أحكام الشرع، لا تأخذه في دين لومة لائم، فنظر في حقيقة قضية أولئك الأمراء التي أثارها هو ثم أصدر قضاءه الآتي: قال السبكي: ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك وهو جماعة، ذكروا أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فعظم الخطب فيه واحتدم الأمر، والشيخ مصمم لا يصح لهم بيعًا ولا شراء ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة فاشتاط غضبًا واجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نعقد لكم مجلسًا وينادى عليكم لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلّق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمير أخرى، ومشى خلفهم من القاهرة قاصدًا الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه له يتخلف، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له متى راح ذهب ملكك قبله، فرجع واتفق معه على أن ينادى على الأمراء، فأرسل نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يُفِد فيه، فانزعج النائب. فقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لاضربنه بسيفي هذا. فركب بنفسه في جماعة، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ... فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث لذلك ولا تغيّر. وقال: يا ولدي، أبوك أقلّ من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب وسقط السيف منها ارتعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي، خير أي شيء تعمل؟. قال: أنادي عليكم وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمنًا؟. قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟. قال: أنا. فتمّ له ما أراد ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا لم يسمع قبله أحد رحمه الله ورضي عنه.

بين العزِّ بن عبد السلام والصالح إسماعيل: إن خلافًا نشأ واشتدَّ، وخصامًا طفق منذرًا بالكيد والحرب بين الأخوين: سلطان

الشام الملك الصالح إسماعيل، وسلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب، وقد أوجس إسماعيل خيفة من نجم الدين أيوب فاستعان بالصليبيين أعداء الإسلام، وتحالف معهم على قتال أخيه، وأعطاهم مقابل ذلك مدينة صيدا على رواية المقريزي وغيره، وأمعن إسماعيل في هذه الخيانة، فسمح للصليبيين أن يدخلوا دمشق ويشتروا منها السلاح وآلات الحرب وما يريدون، وأثار هذا الصنيع المنكر استياء المسلمين وعلمائهم. فهبَّ الشيخ العزُّ بن عبد السلام واقفًا في وجه الخيانة والخائنين، وأفتى بتحريم بيع السلاح لهم، وصعد على منبر جامع الأموي بدمشق في يوم الجمعة؛ حيث كان خطيبه الرسمي وأعلن الفتوى وشدد في الإنكار على السلطان يومئذ، وصار يدعو بدعاء «اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد يعز فيه أولياؤك ويذل فيه أعداؤك، ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك» والمصلون يضجون بالتأمين على دعائه، ولم يكن السلطان حاضرًا لتلك الخطبة؛ إذ كان خارج دمشق، ولما أعلمه رجاله بذلك أمر بعزل الشيخ عن خطبة الجمعة واعتقاله مع صاحبه الشيخ ابن الحاجب المالكي لاشتراكه معه في هذا الإنكار.

وكان أنصار الشيخ قد أشاروا عليه بأن يغادر البلاد وينجو بنفسه من يد السلطان وأعدوا له وسائل الهرب، ولكنّه أبى ذلك، وألحّوا عليه، فأصر على الإباء، فعرضوا عليه أن يختبئ في مكان أمين لا يهتدي إليه السلطان ورجاله، فرفض هذا العرض أيضًا وقال: «والله لا أهرب ولا أختبئ، وإنما نحن في بداية الجهاد، ولم نعمل شيئًا بعد، وقد وطنتُ نفسي على احتمال ما ألقى في هذا السبيل، والله لا يُضيع عمل الصابرين» ثم لما قدم إسماعيل إلى دمشق أفرج عنهما بعد الاعتقال، ولكن العزَّ بن عبد السلام أمر بملازمة داره وأن لا يفتي ولا يجتمع بأحد البتة، فاستأذنه في صلاة الجمعة مؤتمًّا بإمامها وأن يعيد إليه طبيب أو مزين اذا احتاج إليهما، وأن يدخل الحمام فأذن له في ذلك، ومرّت الأيام والشيخ في إقامته الجبرية وقد منع من الإفتاء والاتصال بأحد من إخوانه أو طلابه، وتعطلت هوايته المفضلة وواجبه المقدّس، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فطلب الهجرة من دمشق قاصدًا مصر. وأفرج عنه بعد محاورات ومراجعات فأقام بدمشق ثم انتزع منها إلى بيت المقدس. فوافاه الملك الناصر داود في الفور فقطع عليه الطريق وأخذه وأقام بنابلس مدة وجدت لها معه خطوب، ثم انتقل إلى بيت المقدس حيث أقام مدة، ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس يقصدون الديار المصرية، فسيَّر الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله، وقال له: تدفع منديلي إلى الشيخ وتلطَّف له غاية التلطف وتستنزله وتعده بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال، فان وافقك فتدخل به عليّ، وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي. فلما اجتمع الرسول بالشيخ، شرع في مسايسته وملاينته.

ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه زيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ: والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلًا عن أقبّل يده، يا قوم أنت في وادٍ وأنا في وادٍ، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به. فقال الرسول: يا شيخ قد رسم لي أن توافق على ما يطلب وإلا. فقال الشيخ: افعلوا ما بدا لكم. فأخذه واعتقله في خيمة إلى جانب خيمة السلطان، وكان الشيخ يقرأ القرآن في معتقله والسلطان يسمعه. فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟. فقالوا: نعم .قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره علي تسليمي لكم حصون المسلمين وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم!!. فقالت له ملوك الفرنج: «لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها». (والإسلاماه لأحمد باكثير، ١٠٠ وانظر الطبقات للسبكي).

بين النووي والظاهر بيبرس :

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام، أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعيّة يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه. فقال: هل بقي أحد؟. فقيل له: نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي. فطلبه فحضر. فقال له: اكتب خطابك مع الفقهاء، فامتنع. فقال: ما سبب امتناعك؟. فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقار) وليس لك مال، ثم منّ الله عليك وجعلك ملكًا، وسمعت عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مئتا جارية لكل جارية حق من الحليّ، فاذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلًا من الحوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحليّ، أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب الظاهر من كلامه. وقال: أخرج من بلدي _ يعني دمشق. فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى نوى. فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يُقتدى به، فأعده إلى دمشق. فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر. (من أخلاق العلماء الجزء التاسع).

بين ابن تيمية وغازان :

وردت الأنباء في أواخر سنة ٦٩٨هـ بزحف غازان التتري وجيشه من ايران نحو حلب. وفي وادي سليمة يوم ٢٧ ربيع الأول سنة ٦٩٩هـ. التقى جمع غازان بجمع الناصر بن قلاوون، وبعد معركة حامية الوطيس هُزم جمع الناصر وولّى الجند والأمراء الأدبار، ونزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون سير الناصر، حتى خلت دمشق من حاكم أو أمير أو أعيان البلاد؛ لكن شيخ الإسلام ابن تيمية بقي صامدًا مع عامة الناس، فاجتمع شيخ الإسلام مع من بقي من أعيان البلاد، واتفق معهم على تولي الأمور، وأن يذهب هو على رأس وفد من الشام لمقابلة غازان. فقابله في بلدة البنك، وقد دارت بينهما مناقشة عنيفة. قال البالسي:

قال الشيخ ابن تيمية لغازان وترجمانه يترجم كلام الشيخ: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضٍ وإمامٌ وشيخٌ ومؤذنون على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيّت.

وجرى مع ابن تيمية وغازان أمور قام بها ابن تيمية كلها لله، ثم قرب غازان إلى الوفد طعامًا فأكلوا إلا ابن تيمية فقيل له: ألا تأكل؟. فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتموه من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟. وغازان مصغٍ لما يقول شاخص إليه لا يعرض عنه، وإن غازان من شدة ما أوقع في قلبه من الهيبة والمحبة سأل: من هذا الشيخ؟ إني لم أرَ مثله، ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادًا لأحد منه... فأخبر بحاله، وما هو عليه من العلم والعمل. ثم طلب منه غازان الدعاء، فقام الشيخ يدعو فقال: اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك العليا وليكون الدين كله لك، فانصره وأيّده، وملّكه البلاد والعباد، وإن كان قد قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمّره واقطع دابره، وغازان يؤمّن على دعائه ويرفع يديه. قال البالسي: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن نتلوّث بدم ابن تيمية إذا أمر بقتله، فلما خرجنا من عنده قال قاضي القضاة نجم الدين وغيره: كدت تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وإني والله لا أصحبكم. قال البالسي: فانطلقوا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواتين والأمراء وأصحاب غازان فأتَوه يتبرّكون بدعائه وهو سائر إلى دمشق، ووالله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه. وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبَوا أن يصحبوه، فخرج عليهم جماعة من التتار فشلحوهم أي سلبوهم ثيابهم وما معهم. (مختصر منهاج السنة للذهبي، ص: ٣٣٢).

نعم، هذه شذرات من قصص رائعة مؤثرة تدمع المقل وتدمي الأفئدة من هول مواقف هؤلاء العلماء فعلًا وقولًا لا يخشون في الله لومة لائم، فذاك يستعد للموت، وذاك يأبى المال، وذاك يتحين الفرصة للقاء الخليفة لقول كلمة الحق دون خوف، وذاك يتوعده الخليفة وحين اللقاء يرتعب منه مهابة من الله زرعها فيه، وذاك يرفض القضاء خوفًا من الله يرجو الآخرة لا الدنيا الفانية، وذاك يحارب الخونة وينكر على من يتعامل معهم، وذاك يرفض الاعتذار على أن ينال من التكريم والعطاء والمال ويمدحه أعداؤه من الكفار على أن مثله عندهم لشربوا مرق قدميه، وذاك يرفض جمع الأموال من الرعية لوجود الأموال عند الحكام، وذاك وذاك وذاك... نعم، هكذا كان دور العلماء: قول كلمة الحق وإحقاق الحق وإبطال الباطل بكل جرأة ودون خوف ابتغاء رضوان الله ونهضة الأمة... فكانوا فقهاء شريعة وفقهاء

واقع قامت دولتهم دولة الخلافة واستقامت أمتهم وانتشرت دعوتهم بما في ذلك فقههم في واقع أمتهم السياسي بل واقع العالم من حولهم السياسي والفكري والاقتصادي والنفسي والعلمي وغيرها، فكانوا يعلمون من واقع أمرائهم وحكامهم ومداخلهم ومخارجهم، وكانوا يُعَلِّمُون المسلمين الواقع السياسي لمن حولهم من الأعداء، وكذلك خططهم وتوجهاتهم وتآمرهم وخداعهم وألاعيبهم ما يجعلهم يقفون في مقدمة الأمة في مواجهة أعدائها والتصدي لها، فلم يكن علماء الأمة السابقين ينغمسون في فقه الكتاب والسنة المتعلق بعبادات الناس ومعاملاتهم ويتركون السياسة للحكام من غير نصح أو مشاورة أو مشاركة أو الحث على الحق أو يهتمون بالمال والجاه من أجل دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها أو منصب يتقلده، بل كان كل منهم يحمل كفنه في يده ولا يرى إلا الله والآخرة والجنة، وشعاره: اقضِ ما أنت قاضٍ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. نعم، هذا لم يحدث بهذه الكثرة والعموم إلا في زمننا هذا، علماؤنا اليوم متناسون لدورهم الجليل في توجيه الحكام والأمة بسياسة شرعية ترضي الله عز وجل.

هذا وتتجلى أسباب اعتزال العلماء السياسة واقتصارهم على العبادات والمعاملات بما يلي:

-تأصيلات فقهية خاطئة مبنية على شبهات من الاستدلال الخاطئ.

-التنزيل البعيد للأحكام على الواقع.

-ضغوطات جعلت بعض العلماء يعتزل السياسة بحجة البعد عن الفتن، مع أن الفتنة هو الابتعاد عن دين الله وعدم قول الحق. وما تحدث الفتن، وهو الارتداد عن دين الله وعدم الحكم به، إلا من جرَّاء فصل الدين عن الحياة ومنها الدولة والسياسة؛ مما يُخلي الجو للأمراء الذين لا يحرصون على الشريعة؛ مما يجرِّئهم على الإسراف في التعدي على الدين وهضم الحقوق والتبعية للخارج وقتل الأنفس وارتكاب المحرمات والجرائم. فلو كان علماؤنا اليوم كما كان علماء الأمس لطبقوا الآيات الكريمات: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]. هذا وقد كان ابن تيمية فقيهًا بالواقع السياسي حتى إنه كان يفتي السلاطين في إقامة الحرب وإيقافها ويهددهم بإقامة غيرهم ليحمي البيضة ويحوط الحوزة؛ ولذلك فإن ما يقوم به أهل الدعوة اليوم المخلصين العاملين لإقامة الخلافة من إزالة حكام الجور ليس إلا من هذا القبيل. ومن المعلوم أن الواقع السياسي يتعلق بكل تصرفات الحاكم كحاكم ابتداء من تنصيبه وشروط استخلافه وتعيينه، وما القانون الذي يحكم به الأمة وما مصدره وما صحته، وما يتعلق به من أعمال، وما طريقة وصول

هذا الحاكم إلى سدة الحكم وولاية الأمر، وما يتعلق بهذا الحاكم، وما يواجه من سلم وحرب وعقود وهدنة وموادعة وصلح، وكذلك ما يتعلق بسياسة المال كسبًا وإنفاقًا مما يتعلق بالأمور السلطانية والأحكام الخاصة بها، فإذا كان علم العالم بالشريعة لا توجد فيه أحكام وأقضية لأمور السياسة هذه كلها فدين هذه الدولة علماني؛ حيث فصل الدين عن الدولة وفصل السياسة عن الشريعة.

إن علماء السوء اليوم هم الذين يدعون إلى الضلال والكفر والبدع، وإلى تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله. أمثال هؤلاء هم أعوان للطواغيت من ولاة الأمر الحكام الذين يزينون لهم الخروج عن شريعة الإسلام؛ لأن هؤلاء تجاوزوا حدَّهم فإن حد العالم هو اتِّباع ما جاء به النبي ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلِّين**» رواه أبو داود. وما رواه الطبراني في الصغير والأوسط وقال لا بأس به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة. فمن أدرك ذلك الزمان منكم فلا يكونن لهم جابيًا ولا عريفًا ولا شرطيًّا**». وقد قال حذيفة رضي الله عنه فيهم: «إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه». أما ابن الجوزي فقال: «ومن علماء الآخرة أن يكونوا منقبضين على السلاطين محترزين عن مخالطتهم» وعن زياد بن خدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين» رواه الدارمي.

هذا هو واقع العلماء اليوم، ضاعت منهم مخافة الله ولقيتها مخافة السلطان. فكما جاء بالأحاديث والأقوال السابقة من كذب وتزوير وتضليل، والافتراء على الله، والخيانة والوشاية على المخلصين، ومخالطة اليهود والنصارى واتباعهم ومؤاخاتهم، والعمالة للغرب والاستنفاع بالدنيا والأموال والشهوة والشهرة وبيع البلاد، وتحليل الحرام وتحريم الحلال وتزيين الباطل فإذا تكلموا بحق عملوا بالمنكر... إن وجود مثل هؤلاء العلماء العملاء لمصيبة المصائب وكارثة الكوارث نظرًا لأنهم:

- يوجدون الفتن أو يكون دورهم سلبيًّا تُجاهها؛ لأنهم يبحثون عن مصالحهم الذاتية دون المجتمع أو دون رضوان الله تعالى.

- وجودهم يجعل قيادة الأمة قيادة طالحة تقودها للدمار وللخراب؛ لأنهم يأخذون أماكن العلماء الأتقياء الأنقياء.

- وجودهم هو تجهيل وسفه للأمة، والسفه ضعف في العقل، وهذا يقودها للفشل والانحطاط في كل مناحي الحياة في الدنيا والآخرة.

- بوجودهم يغيب **تاج الفروض إقامة الخلافة**، ويغيب تحفيز الأمة على الجهاد وتثبيطها عن نشر الإسلام وإنقاذ العالم من

الكفر وحضارته الرأسمالية العفنة إلى عدل الإسلام ورحمته.

نداء للعلماء :

أيها العلماء الأجلاء الأتقياء الأنقياء الأصفياء المخلصين الأوفياء، **يا من** لا تخشون في الله لومة لائم، يا من حملتم راية الإسلام وميراثه العظيم، **ويا من** تحمون المسلمين وبيضة الدين، **ويا من** حملتم أمانة العلم والعمل، **ويا من** جلستم على منبر رسول الله ﷺ وقمتم تتحدثون بالدين وتنصحون المسلمين، **يا من** جعلتم الله عليكم شهيدًا وكفيلًا، **يا** ورثة الأنبياء، ولم يورث الأنبياء إلا من يستحقون حمل الأمانة فأنتم أهل لها، **يا من** تعيشون في زمن زادت الحاجة لكم، فبهديكم تطمئن القلوب وتهتدي العقول، **يا من** سمَّاكم الله عز وجل بأهل الذكر؛ إذ يسألكم المسلمون عن كل كبيرة وصغيرة... فحذار أن تكونوا كالرهبان والقسِّيسين وكأحبار بني إسرائيل الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا حين حرَّفوا الكلم عن مواضعه وزيفوا دين الله على عباده... فحذار من الاستخزاء والتخاذل بسوء الإفتاء أو التأويل وإرضاء حكام الجور والفسق والتبعية والعمالة على حساب ربكم ودينكم؛ فتكونوا قد فزتم بدنياكم الفانية وخسرتم آخرتكم دار البقاء والخلود، فاحذروا من سنة الاستبدال والاستدراج؛ فحينها يكون قد وقع البلاء، واصبروا على البلاء فهو سنتكم كما كانت سنة من قبلكم من الأنبياء (**يا من** أنتم من وَرَثَتِهِمْ) والصحابة والتابعين والشهداء وثبِّتوا وحمِّسوا وانصروا أمتكم وحثُّوها على إقامة الإسلام والدعوة إليه بإقامة دولة الخلافة حتى تستحقوا أن تكونوا أمناء هذه الأمة فهي وعد ربكم وبشرى رسولكم الكريم ﷺ.

أيها العلماء المتقين، إن الله قلَّدكم هذا الأمر العظيم حمل الدين وتوجيه الأمة إلى ما يرضي ربها، وهو أمر ثوابه عظيم وعقابه شديد، وقد ائتمنكم الله هذه الأمانة العظيمة، وهو الإسلام بناء الأمة العظيم، وهو بذاته ابتلاء عظيم، ولا يلبث البنيان بغير تقوى الله أن يؤتى من القواعد فَيُهدم؛ فلا تضيعوا ما قلَّدكم الله من أمر الأمة، ولا تؤخِّروا واجباتكم، فبادروا الأجل بالعمل فإنه لا عمل بعد الأجل.

فأنتم الراعي للأمة بدينها، فأقيموا الحق ولا تزيغوا فتزيغ الرعية. وإياكم الأمر بالهوى والأخذ بالغضب فإنه مدعاة لضياع الحق، واختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، واتقوا الله فإن التقوى بالتوقي، ومن يتقِّ الله يوقِّهْ، واعملوا لأجل مفضوض وسبيل مسلوك وطريق مأخوذ وعمل محفوظ ومنهل مورود فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب وتنقطع فيه الحجج لعلماء يخشون سلطانًا ظالمًا ولا يخشون الله... علماء أبَوا أن يصدعوا له بالحق والإنكار عليه في موقف عظيم ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [المرسلات:

٣٨] فيالها من عثرة لا تقال، ويا لها من ندامة لا تنفع؛ فتُجزى في ذلك اليوم كل نفس بما كسبت، والله سريع الحساب.

فالله الله أيها العلماء، فإن البقاء قليل والخطب خطير والدنيا هالكة وهالك من فيها والآخرة دار القرار؛ فلا تلقَوا الله، أيها العلماء المساكين، وأنتم سالكون سبيل المعتدين، فإن ديَّان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم، وقد حذركم الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه... **فالحذر الحذر أيها العلماء،** فإن الله لم يخلقكم عبثًا ولن تتركوا سدى، وإن الله سائلكم عما أنتم فيه وعما عملتم به؛ فانظروا ما الجواب، ولن تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسده فيما أبلاه؛ فأعدُّوا أيها العلماء الأجلاء جواب المسألة، فإنه أمر عظيم جليل في يوم تذهل المرضعة عما أرضعت ويكون الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فإن فعلتم خيرًا كان خيرًا لكم، وإن فعلتم شرًّا كان شرًّا لكم في حظِّكم وفي كتابكم، وحينها تقولون: يا ليتنا لم نخلق، واثكلانا، يا ليتنا لم نوجد في هذه الدنيا وحينها لا يجدي الندم ولات حين مناص.

أيها العلماء، يا حماة الدين وحملته، إنه ليس أحب إلى الله من الإصلاح ولا أبغض إليه من الفساد والعمل بالمعاصي؛ فاستتمُّوا واجباتكم نحو أمتكم وحكامكم، فإنه أمركم بتعليمهم وتثقيفهم بما يرضي ربهم عنهم وينفعهم في دنياهم وآخرتهم ليتمكنوا من نشر الدين واتخاذه رسالة لهم في حياتهم وليقيموا إسلامهم بإقامة دولتهم فهي الحارس وكما قال رسول الأمة: «الإسلام والسلطان أخوان توأم، لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه. فالإسلام أس والسلطان حارس، وما لا أس له منهدم وما لا حارس له ضائع». وهذا هو حالنا اليوم، فالإسلام منهدم لا يوجد كمبدأ: عقيدة ونظام حياة... فالحال اليوم: مسلمون من دون حارس، من دون دولة تطبقه. **فيا أيها العلماء،** هلُّموا لنجدة الدين وإقامة دولته، فبها يطبق الإسلام، وينشر كرسالة في الحياة، وتحمى به بيضة الدين، وتعاد أراضي المسلمين المحتلة، ويزول الفساد والكفر والفسق... فلتشمِّروا عن سواعدكم يا أحباب رسول الله ونصراءه، ولتتوبوا توبة نصوحًا، وتوطِّنوا أنفسكم للقاء الله بالشهادة، فما عيش إلا عيش الآخرة، واقتدوا برسول الله ﷺ ومن تبعه من الصحابة والتابعين وعلماء الحق، حفظكم الله ورعاكم وثبتكم على الحق، فالأمة لا تعزُّ إلى بكم، فحذار أن يستبدلكم من يبدل الأحوال ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. ■

كاتب (إسرائيلي) يعترف بتفوُّق الشعب الفلسطيني على (الإسرائيليين)

اعترف الكاتب (الإسرائيلي) «جدعون ليفي» وهو صهيوني يساري، ليس بوجود الشعب الفلسطيني، بل وبتفوقه على (الإسرائيليين)؛ إذ يقول: يبدو أن الفلسطينيين طينتهم تختلف عن باقي البشر، فقد احتللنا أرضهم، وأطلقنا على شبابهم الغانيات وبنات الهوى والمخدرات، وقلنا ستمر بضع سنوات، وسينسون وطنهم وأرضهم، وإذا بجيلهم الشاب يفجِّر انتفاضة الـ ٨٧... أدخلناهم السجون وقلنا سنربيهم في السجون، وبعد سنوات، وبعد أن ظننا أنهم استوعبوا الدرس، إذا بهم يعودون إلينا بانتفاضة مسلحة عام ٢٠٠٠، أكلتِ الأخضر واليابس. فقلنا نهدم بيوتهم ونحاصرهم سنين طويلة، وإذا بهم يستخرجون من المستحيل صواريخ يضربوننا بها رغم الحصار والدمار، فأخذنا نخطط لهم بالجدران والأسلاك الشائكة... وإذا بهم يأتوننا من تحت الأرض وبالأنفاق حتى أثخنوا فينا قتلًا في الحرب الماضية، حاربناهم بالعقول، فإذا بهم يستولون على القمر الصناعي (الإسرائيلي) «عاموس» ويُدخلون الرعب إلى كل بيت في (إسرائيل)، عبر بث التهديد والوعيد، كما حدث حينما استطاع شبابهم الاستيلاء على القناة الثانية (الإسرائيلية). خلاصة القول، يبدو أننا نواجه أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا حل معهم سوى الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال..

الوعي: فعلًا، إنكم تواجهون أصعب شعب عرفه التاريخ؛ ولكن الحل الصحيح ليس كما ذكرت، بل بإزالة كيانكم وإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل مجيئكم واحتلالكم للأرض، ولا يفعل ذلك إلا خلافة راشدة آن أوانها بإذن الله.

طلب رئاسي للمصريين: توقفوا عن الإنجاب!

في مؤتمر عالمي مخصص للسكان والصحة والتنمية عقد في «العاصمة الإدارية» في القاهرة، اعتبر السيسي في خطاب أن «الإرهاب والزيادة السكانية هما أكبر خطرين يواجهان مصر في تاريخها... وأن الزيادة السكانية هي أخطر قضية تواجهها البلاد». وانتقد السيسي، في الخطاب نفسه، تصريحًا لوزير الصحة خالد عبد الغفَّار الذي قال إن دور الدولة إرشادي فقط في موضوع الإنجاب معتبرًا أن «الحرية لو لم تنظمها ستسبب كارثة» ومستشهدًا بتجربة الدولة الصينيَّة التي اتخذت بفرض سياسة الطفل الواحد وبنجاحها في «السيطرة على الزيادة السكانية» متجاهلًا بأن هذه السياسة كان لها انعكاسًا كارثيًّا على الدولة الصينية الحالية ما دعاها إلى إيقافها والعودة إلى سياستها السابقة. وداعيًا إلى «تنظيم

هجرة مشروعة إلى الدول التي تعاني من نقص المواليد». متجاهلًا أن الهجرة هذه إنما هي تعبير عن فشل سياسته الاقتصادية واضطرار الشباب إلى ترك بلادهم مع خسارة كفاءاتهم والاستفادة من اختصاصاتهم.

الوعي: استخدام السيسي للزيادة السكانية كفزّاعة تفوق خطر الإرهاب إنما هي محاولة إخفاء لدوْر سياسته الفاشلة الحاسم في توليد الأزمات الاقتصادية الطاحنة التي تعيشها البلاد، وفي تغطية إخفاقاتها في إدارة الموارد الاقتصادية، وفي فساد إدارته، وفي قيام جهازه الأمني بالاعتقالات والتنكيل والإخفاء القسري... إن المعالجة الحقيقية تبدأ برحيل السيسي وقيام حكم إسلامي رشيد، يطبَّق فيه نظام اقتصادي شرعي صحيح يؤدي إلى تأمين حاجات الناس الحياتية وحتى الكفائية.

حزب النور يعلن دعم السيسي في الانتخابات

أعلن حزب النور السلفي في مصر، دعمه ترشيح رئيس الانقلاب عبد الفتاح السيسي لولاية جديدة في الانتخابات المقبلة ٢٠٢٤م. وقال الحزب في بيان لقياداته، إنه بعد عقد عدد من اللقاءات التشاورية مع الأمانة العامة وأمانات المحافظات، وانتهاء بجلسة تصويت للهيئة العليا، تم اتخاذ قرار بدعم السيسي في مواجهة بقية المرشحين. وزعم الحزب أن دعم السيسي يأتي لـ»وجود قناعة راسخة لدى كوادر الحزب، على ضرورة وجود قيادة قادرة على إدارة مؤسسات الدولة المختلفة وتقويتها، وقيادتها لكي تتعاون بما يتناسب مع حجم المخاطر والتحديات التي تواجه مصر والمنطقة بأسرها». وحثّ الحزب «أبناءَه وجميع المصريين على المشاركة في الانتخابات، والحرص على البناء، والحَذَر مِن السلبية واليأس والإحباط». وأضاف البيان أن الحزب «ساهم في دعم السيسي بورقة عمل تشمل رؤية الحزب لأولويات العمل خلال المرحلة القادمة». وتسبب بيان الحزب بسخط واسع ضده في مواقع التواصل الاجتماعي، إذ اتهمه ناشطون بـ«النفاق» والتناقش. وقال ناشطون إن الحزب الذي حاول تعطيل إدارة الرئيس الراحل محمد مرسي، والتشنيع عليه في قضايا فقهية ودينية، يدعم اليوم بكل طاقاته السيسي الذي لا يقدم نفسه على أنه إسلامي، ولا يطبق أيًّا من مطالبات حزب النور. وقررت الهيئة الوطنية للانتخابات المصرية فتح باب الترشح للانتخابات الرئاسية في ٥ تشرين الأول/أكتوبر الجاري، على أن تكون الجولة الأولى للاقتراع داخل البلاد في ١٠ ديسمبر/ كانون الأول من العام الجاري، لمدة ٣ أيام.

الوعي: هؤلاء نقول ما قاله رسول الله ﷺ فيهم: عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوا السلطان فقد خانوا الرسل فاحذروهم، واعتزلوهم».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: «ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعًا، إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم». أخرجهما الحاكم في تاريخه.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام].

جاء في تفسير الشيخ متولي الشعراوي (رحمه الله) لهذه الآيات:

لقد شرح الحق حال الكفار وموقفهم في الآخرة حين يقفون على النار، ويقفون أمام الله، ومن بعد ذلك يوجه الحديث إلى الرسول ﷺ الذي تقع عليه مشقة البلاغ من الله لهؤلاء الكفار، وكان الرسول ﷺ حزينًا لأن قومه لا يذوقون حلاوة الإيمان، وهو الرسول الذي قال عنه الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]. وكان ﷺ يحرص على أن يكون كل الناس مؤمنين، ويتألم لمقاومة بعض الناس دعوة الإيمان... إنه ﷺ كان حريصًا على الكافر ليؤمن على الرغم من أن مهمة الرسول هي البلاغ فقط، ولو شاء الحق أن يجعل الناس كلهم مؤمنين لأنزل عليهم آية تجعلهم جميعًا مؤمنين: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٣-٤].

لكن الحق سبحانه وتعالى لا يريد خضوع أعناق، وإنما يريد خضوع قلوب. إنه سبحانه يريد أن يأتي الناس طواعية واختيارًا ليثبتوا الحب للخالق؛ لذلك يقول الحق لرسوله ﷺ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ وساعة نسمع: (قد) فلنعرف أن ما يأتي بعدها هو أمر محقق، ويأتي ذلك إذا دخلت على الفعل الماضي فهي في هذه الحالة تأتي لتسبق أمرًا تحقق، ومرة تأتي للتقليل أو للتكثير إذا دخلت على الفعل المضارع الذي يدل على الحال أو الاستقبال، فإذا كان العامل والمعمول بينهما ارتباط سبب.. فهذا للتكثير، وإذا كان ظاهر الأمر غير مرتبط ارتباطًا واضحًا.. فهذا للتقليل. والمثال على الارتباط الذي يدل على التكثير هو قول القائل: قد ينجح المُجدّ؛ لأن المجِدَّ والنجاح مرتبطان ارتباط سببية، ولكن قد يكون هناك حادث مفاجئ لأحد

المجدِّين فلا يستطيع النجاح، كأن يمرض يوم الامتحان، ولكن احتمال الصحة أكثر من احتمال المرض فكانت للتكثير. والمثال على مجيء (قد) للتقليل هو قول القائل: قد ينجح الكسول، أي أن الكسول قد ينجح بالمصادفة وبدون أسباب منطقية، كأن يقرأ عددًا من الدروس ليلة الامتحان فيأتي فيها الامتحان فينجح. إذًا، فـ(قد) إذا دخلت على الماضي تكون للتحقيق، وإن دخلت على المضارع فهي للتكثير إن كانت منطقية الأسباب، وهي للتقليل إن كانت غير منطقية الأسباب؛ ولكن كلنا يعلم أن علم الله هو علم أزلي، ولا قوة ولا أمر يخرجان عن معلوم الله. إذًا، فـ(قد) هنا للتحقيق وهي داخلة على الفعل المضارع، فالحق أراد أن يبلغنا أنه علم أزلًا بما حدث وجاء بـ(قد) لنستحضر صورة الفعل: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ﴾.

والحزن هو خروج النفس من سياق انبساطها؛ فالإنسان يكون في غاية الاستقامة والسرور عندما يكون كل جهاز من أجهزته يؤدي مهمته، فإن حدث شيء يخل بعمل أحد الأجهزة فذلك يورث الحزن. أو يكون الحزن انفعالًا لمجيء وحصول أمر غير مطلوب للنفس. لقد كان مطلب الرسول ﷺ أن يؤمن كل الذين استمعوا إلى البلاغ عنه؛ لكن البعض قاوم الإيمان، والبعض اتهم الرسول بالسحر أو الجنون أو قول الشعر، وها هو ذا الحق يسلي رسوله فيقول: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ﴾ أي إنك يا محمد لابد لك أن تعلم أن أقوالهم هذه ليست متعلقة بك؛ لأنك- بإجماع الآراء عندهم- أنت الصادق الأمين. وهم إنما يكذِّبون بآياتي التي أرسلتها معك إليهم؛ لأن ماضيك معهم هو الصدق والأمانة، بدليل أن الكافر منهم كان لا يأمن أحدًا على شيء من أمواله ونفائسه إلا رسول الله ﷺ. والإنسان لا يغشُّ نفسه فيما يخصه. فكأن الله يريد أن يتحمل عن رسوله؛ لأن من يوجه إهانة للرسول إنما يوجهها للمرسِل له وهو الله جلَّت قدرته.

ولذلك يقول الحق: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ وسبحانه يبين لنا أن رسوله ﷺ كان حريصًا أشد ما يكون الحرص على أن تستجيب أمته لداعي الحق؛ حتى يتأكد لدى المؤمنين قول الحق سبحانه وتعالى في رسوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولا معنى للحرص إلا أن رسول الله ﷺ يحب إلا يفلت أحد من قومه عن منهجه وعن دينه؛ ولكن الحق سبحانه وتعالى جعل أمر الدين اختياريًا حتى يعلم من يجيء له طواعية ويقدر ألا يجيء، ومن لا يجيء وهو قادر أن يجيء. إن الحق سبحانه وتعالى له سنن كونية في الكون يجريها على كل الخلق. وقد يتساءل قائل: وما الذي يجعل الحق سبحانه وتعالى يترك للكفر به مجالًا في دنياه؟ ولماذا يجعل الحق سبحانه وتعالى للشر مجالًا في دنياه ألا يحكمها بهندسة حكيمة؟ ونقول: لو لم يوجد للشر مضار تُفْزِع الناسَ لما عرفوا للحق حلاوة. إذًا، فوجود الشر ووجود الكفر وآثار الكفر في الناس جبروتًا وقهرًا

واستذلالًا ينادي في الناس أنه لابد من الإيمان، وأنه لابد من وجود الخير. فلو لم يكن للشر مكان في الكون فما الذي يلفت الناس إلى الخير؟ ولذلك تجد أن هبات الإيمان عند المؤمنين لا تأخذ فتوتها إلا حين تجد قومًا من خصوم الإيمان يهيجون المؤمنين ويؤذونهم ويستفزونهم. أما إذا صارت الدنيا إلى رتابة فربما فتر أمر الإسلام في نفوس المسلمين؛ ولذلك نجد المؤمنين بالله في غيرة دائمة؛ لأن هناك من يكفر بالله. فيقول لرسوله: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ﴾ وكأنه سبحانه يبلغنا أنه أراد كونه ليكون فيه المؤمن والكافر.

لذلك إن تساءلت- أيها المسلم- كيف يكون في الأرض كافرون؟ فلك أن تعلم أنهم من خلق الله أرادهم الحق أن يختاروا الكفر، فلم يختاروا الكفر قهرًا عنه سبحانه. وكان سيدنا رسول الله ﷺ يحزن لأن هناك أناسًا لم يؤمنوا، فيسليه الحق سبحانه وتعالى، بأنه يعلم أنه يحزنه الذي يقولون من الكفر ومن اتهامات لرسول الله. ألم يقولوا إنه ساحر؟ ألم يقولوا إنه مجنون؟ ألم يقولوا إنه كاذب؟ ألم يقولوا إنه كاهن؟ ألم يقولوا إنه شاعر؟ وسبحانه وتعالى يعلم ما قالوا ويعلم أن هذه الأقوال تحزن رسول الله ﷺ، ويريد الحق سبحانه أن يرفع ويدفع هذا الحزن عن رسول الله ﷺ فيبلغه أنهم لا يكذبونك يا رسول الله؛ فأنت تعرف منزلتك عندهم وهي منزلة الصادق الأمين، ولا يجرؤ أحد على تكذيبك؛ ولكنهم يجحدون بآيات الله. وهل هناك تسلية أكثر من ذلك. لا يمكن أن توجد تسلية أكثر من ذلك.

ونعلم أن ما قاله أهل الشرك عن رسول الله هو قول مردود، فهم أمة البلاغة والفصاحة والبيان، فكيف يقولون إن القرآن شعر وهم أصحاب الدراية بالأساليب مرسلها، ومسجوعها، ونظمها، ونثرها؟. أمن المعقول أن يلتبس عليهم أسلوب القرآن بالشعر؟ ومن المؤكد أن هذا غير ممكن. ولقد قالوا عن النبي ﷺ: إنه ساحر، فكيف سحر الذين آمنوا به ولم يسحر الباقين؟ ولو كان ساحرًا لسحرهم أيضًا، وبقاؤهم على الكفر ينقض هذا. وقالوا كاذب، فهم بقولهم هذا يكذِّبُون أنفسهم لأنهم يعرفون عنه أنه الصادق الأمين، وها هو ذا الحوار بين الأخنس بن شريق وأبي جهل. قال الأخنس: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال أبو جهل: ماذا سمعت! وهنا نسمع قول الغيرة والحسد والبغض، نسمع عن تلك الأمور البعيدة عن موضوع الرسالة النورانية المحمدية فيقول أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوْا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبيّ يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا؟! والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه. فقام الأخنس وتركه. إذًا، هي مسألة غيرة غاضبة على مناصب وسلطة زمنية، ولذلك يرد الله عليهم قائلًا:

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

وها هو ذا الحق يسلِّي رسوله ﷺ ويقول له: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا

يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. إنهم ظالمون؛ لأن الظلم نقل حق إلى غير مستحقه. وأبشع أنواع الظلم هو الشرك؛ لأن الحق سبحانه وتعالى هو المستحق وحده للعبادة، والظلم الأخف وطأة هو أن ينقل الإنسان حقًا مكتسبًا أو موهوبًا إلى غير صاحبه، وهذا ظلم موجود بين الناس. وقد نقل المشركون حق الذات الإلهية إلى غير مستحقها من أوثان وأصنام، أما المؤمنون فهم الذين اعترفوا بحق الذات الإلهية في العبادة. وهناك نوع آخر من الظلم أريد أن أتحدث عنه، وهو أن يظلم الإنسان اسمه، كأن يكون والده قد سماه (مهديًّا) ولكنه يملأ الدنيا فسادًا بإيذاء نفسه وبإيذاء الآخرين. نقول لمثل هذا الإنسان: إن الواجب يقتضي منك أن تحترم أمل والدك فيك، فلا تظلم اسمك (مهديًّا) ولتكن هناك عدالة بين الاسم والمسمى؛ وذلك بأن يكون سلوكك متوافقًا مع الاسم الذي سمَّاك به أبوك. أما إن كان أبوه قد سماه (مهديًّا) ولم يلقنه أي شيء من تعاليم الهدى والدين، ثم خرج الشاب إلى الدنيا ليملأها بالشقاء لنفسه ولغيره ثم اهتدى من بعد ذلك فهذا شاب استطاع أن يتعلم الهداية فصار اسمه على مسمَّاه. وقد كنا في الثلاثينات من هذا القرن نسمع التحذيرات ونحن نزور القاهرة: (إياكم أن تطأوا بأقدامكم شارع عماد الدين لأن كل الموبقات في هذا الشارع). وتعجبت أن يكون اسم الشارع (عماد الدين) ويكون مكانًا للموبقات فقلت في ذلك:

وأقبح الظلم بعد الشرك منزلة ... أن يَظْلم اسمًا مُسمّىً ضده جُبِلا
فشارع كعماد الدين تسميةً ... لكنه لعناد الدين قد جُعلا

وفي الحياة كثير من حالات الأسماء يظلمها أصحابها. ولكن أكبر وأقبح درجات الظلم هو الشرك بالله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ والجحد هو إباء اللسان وترفعه وعدم رضاه بأن ينطق بكلمة الحق، فلو أن المشركين خلَوْا إلى أنفسهم واستعرضوا مسائل محمد ﷺ ومسائل الرسالة لوجدوا أن قلوبهم مقتنعة بأنه صادق وأنه رسول وأن المنهج إنما جاء للهداية؛ لكن ألسنتهم غير قادرة على الاعتراف بذلك؛ ولذلك يأمر المنهج الإيماني أن على الواحد منا إن أراد أن يناقش قضية، أهي حق أم باطل، فلا يصح أن نناقشها في حشد من الناس، ولكن فلنناقشها أولًا في نفوسنا لنتبين الحق فيها من الضلال؛ ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ [سبأ: ٤٦]. كأن الحق يهدينا إلى كيفية التمييز، فإما أن نناقش أنفسنا، وإما أن يتناقش اثنان حتى يمكن أن يقتنع أحدهما برأي الآخر دون أن يشهد ثالث هزيمته فيكابر ويجادل. وقد نصح الحق بذلك هؤلاء الذين اتهموا رسول الله أن به - والعياذ بالله - مسًّا من الجنون؛ فالجنون هو أن تحدث الأفعال بلا مقدمات وبدون تدبر أو نظر في آثارها وتكون خالية من حكمة فاعلها. أما العاقل فهو الذي يرتب الأفعال بحكمة ويوازن ويدرس وينتهي به

عقله وحكمته إلى حسن ما يفعل، ويعامل الناس بانسجام وسوية خلقية عالية، فهل أحد من المشركين أخذ على رسول الله ﷺ أي سلوك يمكن أن يشير إلى عدم ترتيب الأفعال؟ لا؛ ولذلك يقول الحق: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ١-٤]. إن الخُلُق العظيم يتنافى مع الجنون، وكذلك فعل كل قوم مع رسولهم، إنَّهم رمَوْه بالسفه والجنون. فكلما جاء رسول لقومه بمنهج حق ليطمس معالم الباطل قابله قومه بمثل تلك المقابلة. ونعرف أن السماء لا تتدخل بالنبوات والمعجزات إلا حين يطم الفساد وتنطمس النفس المؤمنة. فالمؤمن فيه خميرة الخير فيندفع إلى فعل الخير. وإن حدثته نفسه بفعل معصية وفَعَلَها، فإن نفسه اللوَّامة تؤنبه على ذلك؛ لكن إن انطمست نفسه ولم تعد تلوم، صارت نفسه الأمارة بالسوء هي المسيطرة وإن لم يجد من يقول له في المجتمع: لا تفعل ذلك.. فالمجتمع كله يكون قد فسد. ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾. إذًا، السماء لا تتدخل برسالة أو معجزة أو منهج إلا حين يطم الفساد. وما دام قد طم الفساد فهناك من يستفيد من هذا الفساد. وحين يأتي الرسول من أجل أن يمنع الفساد فهذا الرسول يمنع عن المفسدين استغلال الناس ويحول بينهم وبين الاستفادة من الفساد؛ ولذلك كان لكل رسول مقاومة من المفسدين وكانوا يقولون: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ﴾ [هود: ٢٧]. وأتباع كل رسول هم المظلومون الذين يحتاجون إلى منقذ. أما الجبابرة فهم يخاصمون الرسول ويقاومونه، ويستقبله هؤلاء الجبابرة بإيذاء يتناسب مع مهمته. فإن كانت مهمته لقبيلة فالإيذاء يأتيه من هذه القبيلة. وإن كانت مهمته أوسع من ذلك فإنه يلقى من صنوف العذاب ألوانًا. وما دام محمد ﷺ رسولًا إلى الناس كافة فعليه أن يجد المتاعب الكثيرة ويتحملها. وقد أعده الله وهيأه لذلك، وقد أخذ الرسل السابقون من الإيذاء على قدر دعوتهم. أما رسول الله ﷺ فهو للناس كافة، ولا رسالة من بعده؛ لذلك يتجمع ضد هذا الرسول وهذه الرسالة أقوام كثيرون.

ولذلك يقول له الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ فإذا كان الرسل الذين سبقوك قد كُذِّبوا وصبروا على ذلك، وهم رسل لقومهم أو لأمة خاصة، ولزمان خاص، فماذا عنك يا خاتم الرسل وأنت للناس كافة وللأزمان عامة؟ إن عليك أن تتحمل هذا؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قد اختارك لهذه المهمة وهو العليم أنك أهل لها. والحق كفيل بنصر رسله فلا يتأتى أن يترك الشر أو الباطل ليغلب الرسل، وما دام سبحانه وتعالى قد بعث الرسول فلا بد أن ينصره. فهو القائل: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾[الصافات: ١٧١-١٧٣]. وما دامت قد سبقت كلمة الله للرسل فلا مبدل لكلمات الله، ولا أحد بقادر على أن يعدِّل في المبادئ التي وضعها الله بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ

لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]. وقد قصَّ الحق سبحانه على رسوله قصص المرسلين، ولم يكتفِ بالقول لرسوله إن الرسل السابقين عليه قد كذبتهم أقوامهم؛ ولكن أورد الحق لرسوله ما حدث لكل رسول ممن جاء ذكرهم بالقرآن الكريم، وماذا حدث للرسول- أي رسول- من ثبات أمام الأعداء، ثم بيّن أن كلمة الحق قد انتصرت دائمًا. وقد روى الحق بعضًا من قصص الرسل فقال: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨]. ومن بعد ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ إنك يا محمد رسول من عند الله، ومعك منهج هو معجزتك الدالة على صدق ما جئت به، فإن كبر عليك إعراضهم وعظم عليك أن يتولَّوا ويعرضوا عنك فإن استطعت أن تصنع لنفسك نفقًا في الأرض لتأتيهم بآية أو أن تبني سلمًا لتصعد به إلى السماء طلبًا لهذه الآية فافعل؛ ولكنك لن تستطيع ذلك لأن ذلك فوق حدود قدرتك وسيلقى المشركون والمنافقون العذاب لأنك جئت يا رسول الله تبدد من صولجان سلطتهم الزمنية وتقيم العدل الإيماني؛ ولذلك حاولوا السخرية منك وإيذاءك. وقد طلب الكافرون من رسول الله ﷺ أن ينزل إلى الأرض ليفجر لهم منها ينبوعًا، وطلبوا إليه أن يصعد إلى السماء وأن يجعلها تسقط عليهم كسفًا وقطعًا لتهلكهم. وهذه أشياء لم تكن في مكنة واستطاعة رسول الله ﷺ؛ ولذلك يقول له الحق سبحانه وتعالى ما يقفل عليه أبواب الحزن ويقضي على أسباب الأسى والأسف عنده بسبب إعراضهم، وأن يعرف أن السخرية والمقاومة هي مسألة طبيعية بالنسبة لكل رسول من الرسل، وأنت يا رسول الله أولى بهذا لأن مهمتك أضخم من كل الرسل. ونلحظ أن الحق سبحانه يحذف هنا جواب (إن) فهو يقول: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ولم يقل الحق: فافعل ذلك، كأن المسألة هي تهدئة للرسول؛ لأن الجواب في مثل هذه الحالة معلوم؛ فالرسول لا يجبر أحدًا على الإيمان. وإعراض هؤلاء القوم أمر مقصود لواجب الوجود حتى يختبرهم ولو أراد قهرهم لفعل، فلا أحد يتأبَّى على الله، فالكون كله مطيع لله، الشمس، والقمر، والنجوم، والهواء، والماء، والجبال، والأرض، وكل ما في الكون مطيع لله بما في ذلك الحيوان المسخر لخدمة الإنسان؛ ولكنه سبحانه أعطى الاختيار للإنسان ليأتي إلى الله محبًا. ونعلم أن الحق قد ترك بعضًا من المسخَّرات غير مذلَّلة ليثبت للإنسان إنه لم يذلِّل الأشياء بحيلته؛ ولكنه - جل شأنه - هو الذي خلقها وذلَّلها له؛ لذلك نرى الجمل الضخم يجره طفل صغير، ونرى أي رجل مهما تكن قوته يأخذ الحذر والاحتياط من ثعبان صغير. ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢﴾ [يس: ٧١-٧٢]. لو لم يذلِّلها الله فلن يستطيع أحد أن يقترب منها. وأضرب هذا المثل دائمًا، عندما قال قائل: لماذا خلق الله الذباب، فقال رجل من أهل الإشراق: ليذل به الجبابرة؛ فسلطانهم لا يمتد إلى هذه

الحشرات.

لقد أعطى الحق الإنسان عزَّة السيادة، وعلَّمه أيضًا أن يتواضع للخالق.ويبلغ الحق سبحانه وتعالى رسوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]. أي أنه سبحانه لو شاء لجعل الناس كلهم مؤمنين. وقد يقول قائل: كيف يخاطب الله رسوله فيقول له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾؟ ونقول: إن الحق حين يقول لرسوله ذلك فهو يقولها لا من مظنة أن يفعلها الرسول؛ فالرسول معصوم من الجهل؛ ولكن هو قول فيه تنزيه للرسول عن أن يكون في مثل هذا الصنف من الجاهلين. ويقول الحق بعد ذلك: ﴿۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦﴾.

و(يستجيب) معناها أنهم يطيعون أمر الآمر ونهي الناهي. وهناك فارق بين (الاستجابة) و(الإجابة)؛ فـ(الاستجابة) هي: أن يجيبك من طلبت منه إلى ما طلبت ويحققه لك، و(الإجابة) هي: أن يجيبك من سألت ولو بالرفض لما تقول، وقد يكون الجواب ضد مطلوب ما سألت. ويقول الحق: ﴿۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾ أي إن الذين يستجيبون لنداء الحق هم الذين يسمعون بآذانهم وقلوبُهم مصدقة؛ لأن هناك فارقًا بين سماعٍ ظاهرُه سماعٌ وباطنُه انصرافٌ، وبين سماع ظاهره طاعة وباطنه محبة لهذه الطاعة. ونعلم أن استقبال المسموع شيء، وانفعال الإنسان بالمسموع شيء آخر. وعندما يتَّحد حسن الاستماع مع انفعال الحب لتنفيذ ما سمعه الإنسان فهذا ما يطلبه الإيمان. والمؤمنون هم الذين يستمعون لكلمات الله بانفعال الحب، وهم يختلفون عن هؤلاء الذين يسمعون الكلام من أذن ويخرجونه من الأذن الأخرى، ويتركون الكلمات بلا تطبيق، ولا يبقى في النفس الواعية من آثار الكلام شيء. وهكذا نرى أن الله قد صنع وخلق في الإنسان من الحواس ما تهديه وترشده إلى الإيمان أو إلى الكفر؛ فالأذن عند المؤمن تسمع، والقلب يصدق، والعقل يمحِّص ويؤمن. أما الكافر فأذنه تسمع وقلبه يعارض، وعقله يبحث في أسباب الكفر رغبة فيه وسعيًا إليه؛ ولذلك لا تؤدي حواسه مهامها بانسجام، وكأن الذين يسمعون ولا يستجيبون هم من الموتى. فالأمر إذًا ليس مقصورًا على السمع بل المطلوب أن يكون هناك سماع انفعال بالمسموع وانصياع له، ولا تظنَّ أن الله يعجز عن أن يجعل الذي لا يسمع سماع طاعة يهتدي ويستقيم، فلا شيء ولا كائن يتأبَّى على الله؛ لأنه سبحانه يحيي الموتى. وما دام هو سبحانه يحيي الموتى فهو لا يتطلب إيمانًا جبريًّا. إنما يطلب إيمان الاختيار والاقتناع، وهو سبحانه لو شاء لأنزل عليهم من السماء آية فظلَّت أعناقهم لها خاضعين، وسبحانه يطلب قلوبًا لا قوالب. إذن فالذين يستجيبون لداعي الإيمان هم الأحياء حقًّا، أما الذين لا يستجيبون فهم في حكم الأموات، وهم من بعد موتهم وانتهاء حياتهم سيبعثهم الله ليسألهم عن أفعالهم في الحياة الدنيا. وعندما يرجعون إلى الله سوف يجدون الحساب. ونعلم أن المرجع أخيرًا ودائمًا إلى الله. ومن يرجع إلى الله وعمله طيب يتعجَّل الجزاء الطيب ويتشوَّق ويتشوَّف إليه، أما من يرجعه الله قَهْرًا فهو يخشى الجزاء الأليم.■

بسم الله الرحمن الرحيم

في فضائل القرآن (١)

- عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: «**خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا**» أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن أبي شيبة، والطبراني في الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث [صحيح].

- عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مر على قاص يقرأ، ثم سأل فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس**» أخرجه الترمذي، والطبراني في الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث [حسن].

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي فقال: «**اقرؤوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه**». أخرجه أبو داود، وأحمد، والبيهقي في شعب الإيمان: حديث [حسن].

- عن أبو هريرة رضي الله عنه قال: «**حدثني رسول الله ﷺ أن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية. فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟، قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملتَ فيما علمتَ؟، قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكة له: كذبتَ، فيقول الله عز وجل: أردتَ أن يقال: فلان قارئ فقد قيل. ويؤتى بصاحب المال فيقول: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟، قال: بلى، قال: فماذا عملتَ فيما آتيتُك؟، قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله: كذبتَ، وتقول الملائكة كذبتَ، ويقول الله: بل أردتَ أن يقال: فلانٌ جوادٌ، فقد قيل ذلك. ويؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله فيقال له: فيم قُتلتَ؟، فيقول: أمرتَ بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتى قتلتُ، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد**

قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة». حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا جاءه، فقال: أوصني، فقال: «**سألتني عما سألتُ عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنها رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**» أخرجه أحمد: حديث حسن.

- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطَّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**». أخرجه مسلم، وابن حبان، والترمذي، والنسائي في الكبرى، وابن ماجة، والدا.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس، قالوا يا رسول الله: من هم، قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته**». أخرجه ابن ماجة، وأحمد، والدرامي، والطيالسي في مسنده: حديث صحيح.

- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافّ تحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة... قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة**». أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد، والبيهقي في الصغرى، والطبراني في الأوسط: حديث صحيح.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفات** (جَمْعُ خَلِفَةٍ، وهي الحاملُ مِنَ النُّوقِ، وهي مِن أَعَزِّ أموالِ العربِ) **عظام سمان، قلنا: نعم، قال فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خِلِفات عظام سمان**». أخرجه مسلم، وابن ماجة، وأحمد، والدارمي: حديث صحيح.

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: إقرأ وارتقِ ورتلْ كما كنت ترتلُ في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**». أخرجه الترمذي، وأبو داود: حديث صحيح. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

صور من حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)

يوسف أبو إسلام

الناظر في أحوال المسلمين وما هم فيه من مآسٍ يدرك مدى حاجة الأمة للخلافة. فالخلافة كانت حافظة للدين والدنيا، حيث تَنَعَّم في عدلها البشر والشجر والدواب. وقد مر بالمسلمين دوران من أدوار الخلافة - الراشدة والعضوض - والمسلمون اليوم، وهم يكتوون بنار الحكم الجبري، يرقبون على أحرّ من الجمر ذلك الوعد الربَّاني والبشرى النبوية بعودة الخلافة على منهاج النبوَّة.

إلا أن كثيرًا من أبناء المسلمين ممن استهوتهم الحضارة الغربية، تراهم ينظرون إلى الحياة الغربية كمقياس للتغيير الذي ينشدونه. فتراهم يثورون على الأوضاع البالية في بلاد المسلمين ويرفعون شعارات الديمقراطية والدولة المدنية والتداول السلمي للسلطة وغير ذلك من شعارات برَّاقة دون أن يدركوا مدى بُعد هذه الشعارات عن الإسلام، ودون أن يخطر في بالهم أن الأمة الإسلامية التي حكمت العالم بعدل الإسلام ما يزيد عن ثلاثة عشر قرناً من الزمان، قادرة وبعون الله أن تعود من جديد إلى قيادة العالم، وأنها - الأمة - فوق هذا موعودة بالاستخلاف والتمكين من جديد بخلافة على منهاج النبوة.

من هنا كان لا بد من إعادة ثقة الأمة في موعود ربها وبشرى نبيها وبقدرتها على النهوض من جديد، ولا بد كذلك من عودة الثقة بالله وبنصره لهذه الأمة وأن الخير باقٍ فيها إلى يوم الدين، وأن الخلافة الموعودة ليست أي خلافة بل هي خلافة على منهاج النبوة، وأنه فرض الساعة الذي لا يجوز التواني عن القيام به... كما يجب أن يعلم المسلمون أن الخليفة القادم ستكون سيرته كما كانت سيرة أولئك الراشدين الأوائل، وكما كانت سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رحمه الله).

ولعلنا في عرضنا لسيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) الذي جاء على فترة كان فيها شيء من الدخن. ولعلنا في عرضنا لصفحات من سيرته أن نعيد الأمل إلى نفوس المسلمين حتى يعود لهم الشوق لماضيهم العريق فينهضوا لإعادته من جديد... والله نسأل أن

يوفقنا في عرضنا هذا وأن يكرمنا بالخلافة على منهاج النبوة قريبًا، إنه سميع مجيب.

(عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس)

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٦١هـ/٦٨١م - ١٠١هـ/٧٢٠م)، هو ثامن الخلفاء الأمويين. ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم. وفي سنة ٨٧هـ ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضمَّ إليه ولاية الطائف سنة ٩١هـ فصار واليًا على الحجاز كلها، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق. فلمَّا تولَّى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيرًا ومستشارًا له، ثم جعله وليَّ عهده، فلما مات سليمان سنة ٩٩هـ تولَّى عمر الخلافة.

كان عمر بن عبد العزيز منذ صغره شديد الإقبال على طلب العلم، وكان يحب المطالعة والمذاكرة بين العلماء، كما كان يحرص على ملازمة مجالس العلم في المدينة، وكانت يومئذ منارة العلم والصلاح، زاخرةً بالعلماء والفقهاء والصالحين. لقد تاقت نفسه للعلم وهو صغير السن، وكان أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصُه على العلم ورغبتُه في الأدب. جمع عمر بن عبد العزيز القرآن وهو صغير، وساعده على ذلك صفاء نفسه وقدرته الكبيرة على الحفظ وتفرغه الكامل لطلب العلم والحفظ، وقد تأثر كثيرًا بالقرآن الكريم، وكان يبكي لذكر الموت مع حداثة سنه، فبلغ ذلك أمه فأرسلت إليه وقالت: «**ما يبكيك؟**»، قال: «**ذكرت الموت**»، فبكت أمه حين بلغها ذلك.

عاش عمر بن عبد العزيز في زمن ساد فيه مجتمعُ التقوى والإقبال على طلب العلم، فقد كان عدد من الصحابة لا يزالون بالمدينة، فقد حدث عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، واستوهب منه قدحًا شرب منه النبي محمد ﷺ، كما أمّ بأنس بن مالك فقال: «**ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله من هذا الفتى**».

تربَّى عمر بن عبد العزيز على أيدي كبار فقهاء المدينة وعلمائها، فقد اختار عبد العزيز (والد عمر) **صالح بن كيسان** ليكون مربيًا لعمر، فتولى صالح بن كيسان تأديبه، وكان يُلزم عمر الصلوات المفروضة في المسجد، فحدث يومًا أن تأخَّر عمر عن الصلاة مع الجماعة، فقال له صالح بن كيسان: «**ما يشغلك؟**»، قال: «**كانت مرجّلتي (مسرحة شعري) تسكن شعري**»، فقال: «**بلغ منك حبُّك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة؟**»، فكتب إلى عبد العزيز يذكر ذلك، فبعث أبوه رسولًا فلم يكلمه حتى حلق رأسه. ولـمَّا حج أبوه ومرَّ بالمدينة سأل صالح بن كيسان عن ابنه فقال: «**ما**

خبرت أحدًا الله أعظم في صدره من هذا الغلام».

من شيوخ عمر بن عبد العزيز الذين تأثر بهم: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فقد كان عمر يجله كثيرًا، ونهل من علمه وتأدَّب بأدبه وتردد عليه حتى وهو أمير المدينة، ولقد عبّر عمر عن إعجابه بشيخه وكثرة التردد إلى مجلسه فقال: «**لَمجلسٌ من الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحب إليّ من ألف دينار**» وكان عبيد الله مفتي المدينة في زمانه، وأحد الفقهاء السبعة، قال عنه الزهري: «**كان عبيد الله بن عبد الله بحرًا من بحور العلم**».

عندما تولَّى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة قام بتكوين **مجلس للشورى** بالمدينة سمي بـ«**مجلس فقهاء المدينة العشرة**»، فعندما جاء الناس للسلام على أمير المدينة الجديد وصلّى بهم، دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم: (**عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد بن ثابت**)، فدخلوا عليه وجلسوا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «**إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانًا على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدَّى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا أبلغني**».

تميزت خلافة عمر بن عبد العزيز بعدد من المميزات، منها: العدلُ والمساواة، وردُّ المظالم التي كان أسلافه من بني أمية قد ارتكبوها، وعزلُ جميع الولاة الظالمين ومعاقبتُهم، كما أعاد العمل بالشورى؛ ولذلك عدّه كثير من العلماء خامس الخلفاء الراشدين، كما اهتمَّ بالعلوم الشرعية وأمر بتدوين الحديث النبوي الشريف.

استمرت خلافة عمر سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، حتى قُتل مسمومًا سنة ١٠١هـ فتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة من بعده. قال عنه مالك بن دينار رحمه الله: «**الناس يقولون عنِّي زاهد، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها**».

روي أن أحد عمال عمر بن عبد العزيز على أحد الأقاليم كتب إليه يشكو خراب مدينته ويسأله مالًا يحصنها به فكتب إليه عمر: (**قد فهمت كتابك، فإذا قرأت كتابي فحصِّنْ مدينتك بالعدل ووثِّقْ طرقها من الظلم فإنه حرمتها... والسلام**).

بهذه الكلمات الموجزة يقدم الخليفة الزاهد النصح للولاة ويدعوهم إلى العدل ونبذ الظلم، وقد قيل: لا ملك إلا بالجند، ولا جند إلا بالمال، ولا مال إلا بالبلاد، ولا بلاد إلا بالرعايا، ولا رعايا إلا

بالعدل. فالعدل أفضل بكثير من جمع الأمراء أموالًا حتى للمدينة نفسها.

قيل لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: **يا أمير المؤمنين بيدك المال ولسنا نرى في بيتك شيئًا مما تحتاج إليه. ويحتاج إليه البيت فقال: (إن البيت لا يتأثث في دار النقلة، ولنا دار نقلنا إليها خيرنا، وإنا عن قليل إليها لصائرون).**

وهذا موقف آخر يدعو للتدبر فكيف تصرف عمر عندما أتت إليه الخلافة. هل فرح فرحًا شديدًا؟

عندما تلقى عمر بن عبد العزيز خبر توليته (للخلافة)، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف ويرتعد، وأوقفوه أمام الناس، فأتى ليتحدث فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: **(بيعتكم في أعناقكم، لا أريد خلافتكم)**، فبكى الناس وقالوا: «**لا نريد إلا أنت**»، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى مَن بالمسجد.

عندما نقرأ أول ما فعله أمير المؤمنين عندما تولَّى الخلافة تقشعر أبداننا ونعلم الفرق بين من أتته رغمًا عنه وبين من أتاها راغمًا.

نزل عمر بن عبد العزيز في غرفة في دمشق أمام الناس؛ ليكون قريبًا من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجه فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: **(يا فاطمة، إني قد وُلِّيتُ أمرَ أمةِ محمد عليه الصلاة والسلام** - وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقًا إلى الرباط غربًا، ومن تركستان شمالًا، إلى جنوب أفريقيا جنوبًا - **قال: فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة، فسلّمي حُليَّكِ وذهبَكِ إلى بيت المال، وإن كنت تريدين الدنيا، فتعالي أمتعك متاعًا حسنًا، واذهبي إلى بيت أبيك)**، قالت: «**لا والله، الحياةُ حياتُك، والموتُ موتُك**»، وسلّمته حليَّها وذهبَها، فرفَعَه إلى ميزانية المسلمين.

عاش عمر رضي الله عنه عيشة الفقراء، كان يأتدم خبز الشعير في الزيت، وربما أفطر في الصباح بحفنة من الزبيب، ويقول لأطفاله: «**هذا خير من نار جهنم...**».

أتى إلى بيت المال يزوره، فشم رائحة طيب، فسدّ أنفه، قالوا: **مالك؟ قال: (أخشى أن يسألني الله عز وجل يوم القيامة لم شممت طيب المسلمين في بيت المال)**. إلى هذه الدرجة، إلى هذا المستوى، إلى هذا العُمق!

قالوا لامرأته فاطمة بعد أن توفي: **نسألك بالله، أن تصِفي عمر؟** قالت: **(والله ما كان ينام الليل، والله لقد اقتربت منه ليلة فوجدته يبكي وينتفض، كما ينتفض العصفور بلَّله القطْر، قلت:**

ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما لي!! توليت أمر أمة محمد، وفيهم الضعيف المجهَد، والفقير المنكوب، والمسكين الجائع، والأرملة، ثم لا أبكي، سوف يسألني الله يوم القيامة عنهم جميعًا، فكيف أُجيب؟).

خرج سليمان ومعه عمر إلى البوادي، فأصابه سحاب فيه برق وصواعق، ففزع منه سليمان ومن معه، فقال عمر: «**إنما هذا صوت نعمة، فكيف لو سمعت صوت عذاب؟**»، فقال سليمان: «**خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها**»، فقال عمر: «**أوخير من ذلك يا أمير المؤمنين؟**»، قال: «**وما هو؟**»، قال: «**قوم صحبوك في مظالم لم يصلوا إليك**»، فجلس سليمان فردّ المظالم.

عندما تولى الإمارة أول شيء فعله هو أن يأخذ بالمشورة والنصيحة من كبار العلماء وليذكروه بالله حتى لا تأخذه الإمارة عن أمر ربه فماذا فعل؟...

كتب إلى الحسن البصري يسأله في ذلك فأجابه الحسن:

(الإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارًا ويعلمهم كبارًا، يكتب لهم في حياته ويدخرهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا ووضعته كرهًا وربته طفلًا، تسهر بسهره وتسكن بسكونه. ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتمّ بشكايته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصيّ اليتامى، وخازن المساكين يربي صغيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده. والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده؛ يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدَّد وشرَّد العيال، فأفقر أهله وفرَّق ماله).

معيار الخليفة عمر بن عبد العزيز في اختيار الولاة والعمال:

عندما تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه جاء فحجب الحاجب وقال: «اعزل نفسك»، قال: ولم؟! قال: [«**رأيتك تتستر في ظل الخيمة، والناس في الشمس في عهد الوليد بن عبد الملك، والله ما تكون لي حاجبًا أبدًا، تعالَ يا مزاحم أنت حاجبي، فقد رأيتك تكثر من قراءة القرآن وتصلي الضحى في مكان لا يراك إلا الله**».

وكان عمر يقدِّر الناس بقدر تقواهم: ... وفد عليه ثلاثة شباب، قال للأول: **ابن من أنت؟** قال: **أنا ابن الأمير الذي كان في عهد الوليد.** قال عمر: (**اغرب عني وأبوك، فإن أباك كان يجلد المسلمين).** قال للثاني: (**وأنت ابن من؟**). قال: **ابن والي الكوفة.** قال: (**دعني منك ومن أبيك**).

وقال للثالث: (**وأنت ابن من؟**). قال: **أبي هو قتادة بن النعمان الذي ضرب في عينه يوم أحد** - ضربه مشرك فسالت عينه على خدِّه - **فردها محمد ﷺ فكانت أحرَّ من الأخرى.** ثم قال الفتى:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فرُدَّت بكفِّ المصطفى أحسن الرد

فبكى عمر بن عبد العزيز وقال:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

القَعْبان: (جمع قَعْب، وهو قَدَحٌ من خشب)

يقول: من أراد أن يفتخر فليفعل مثلك، أنت النسب، أنت البطل، أنت التقي. وليس الافتخار أن تتصدق بكوبين من لبن يخلطان بالماء ثم يُشربان ثم بعدُ يتحولان إلى بول يخرج من الجسد.

الخليفة عمر بن عبد العزيز يحاسب أحد عماله على تضييعه دينارًا من بيت المال.

- قال رسول الله ﷺ: «**رب متخوِّضٍ في مال الله فيما شاءت نفسه له النار غدًا**».

- كان وهب بن منبه أمينًا على بيت مال المسلمين في اليمن، فكتب إلى عمر رحمه الله: «**إني فقدت من بيت مال المسلمين دينارًا**).

فكتب إليه عمر رضي الله عنه: (**إني لا أتهم دينك ولا أمانتك، ولكن أتهم تفريطك وتضييعك، وأنا حجيج المسلمين في أموالهم، ولَأَخَسنهُم (أقل ما أنت ملزم به) عليك أن تَحْلِفَ والسلام) وأمره بردّ ما فقد من المال، فردّه وهب من خاصّة ماله!.**

وكأنه يقول له عليك أن تحلف بالله لجميع المسلمين أنك أضعت هذا الدينار دون أن يكون منك تفريط أو تقصير... ابن الجوزي / سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (١٠٥).

- قال عطاء الخرساني: «**أمر عمر بن عبد العزيز غلامه أن يسخن له ماء، فانطلق فسخن قمقمًا في مطبخ العامة فأمر عمر أن يأخذ بدرهم حطبًا يضعه في المطبخ**».

- قال وهيب بن الورد: إن عمر بن عبد العزيز، اتخذ دارًا لطعام المساكين والفقراء وابن السبيل، قال وتقدم إلى أهله: (**إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئًا من طعامها، فإنما هو للفقراء والمساكين).** فجاء يومًا فإذا مولاة له، معها صحفة فيها غرفة من لبن، فقال لها: **ما هذا؟. قالت: «زوجتك حامل كما قد علمت، واشتهت غرفة من لبن، والمرأة إذا كانت حاملًا فاشتهت شيئًا فلم تؤتَ به تخوَّفتْ على ما في بطنها أن يسقط، فأخَذْتُ هذه الغرفة من هذه الدار».**

فأخذ عمر بيدها فتوجه بها إلى زوجته وهو عالي الصوت، وهو يقول: (**إن لم يمسك ما في بطنها إلا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله)** فدخل على زوجته فقالت له: **ما لك؟ قال: (تزعم هذه أنه لا يمسك ما في بطنك إلا طعام المساكين والفقراء، فإن لم يمسكه إلا ذلك فلا**

أمسكه الله). قالت زوجته: ردِّيه، ويحكِ والله لا أذوقُه قال: فردَّتْه.

استخدام مراكب الدولة لأغراض الخليفة الخاصة:

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعجبه أن يتأدم بالعسل، فطلب من أهله يومًا عسلًا فلم يكن عندهم، فأتَوه بعد ذلك بعسل، فأكل منه فأعجبه، فقال لأهله: **من أين لكم هذه؟** قالت امرأته: «**بعثت مولاي بدينارين على بغل البريد، فاشتراه لي**» فقال: **(أقسمتُ عليك لما أتيتني به).** فأتته بعكة فيها عسل، فباعها بثمن يزيد، وردَّ عليها رأسمالها، وألقى بقيته في بيت مال المسلمين وقال: **أُنصَبْتِ دواب المسلمين في شهوة عمر!**

وهناك مواقف مشرقة لعمر بن عبد العزيز مع أصحاب الحاجات:

لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مواقف بذلية فردية كثيرة طرق فيها أصحاب الحاجات باب أمير المؤمنين مباشرة، دون واسطة أو انتظار تصريح حاجب، وقد تجلَّت في تلك المواقف رحمة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعظمته، ومن تلك المواقف:

- **صاحب الفاقة يطلب حاجته أثناء تشييع أمير المؤمنين لجنازة:**

عن عامر بن عبيدة قال: أول ما أُنكر من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه خرج في جنازة، فأُتي ببُرد كان يلقى للخلفاء كي يقعدوا عليه إذا خرجوا إلى جنازة، فألقى إليه فضربه برجله ثم قعد على الأرض، فقالوا ما هذا؟ فجاء رجل فقام بين يديه فقال: **(يا أمير المؤمنين، اشتدت بي الحاجة وانتهت بي الفاقة والله يسألك عن مقامي هذا بين يديك).** - وفي يد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قضيب قد اتكأ عليه - **فقال: «أعد ما قلت».** فأعاد عليه فقال: **(يا أمير المؤمنين اشتدت بي الحاجة وانتهت بي الفاقة والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك)**، فبكى حتى جرت دموعه على القضيب ثم قال له: **ما عيالك؟ قال: خمسة أنا وامرأتي وثلاثة أولاد، قال: فإنا نفرض لك ولعيالك عشرة دنانير ونأمر لك بخمس مائة، مائتين من مالي وثلاث مائة من مال الله، تبلغ بها حتى يخرج عطاؤك.**

وهذا موقف آخر...

- **أبو البنات يبكي أمير المؤمنين:**

عن موسى بن المغير قال: سمعت رياح بن عبيد الباهلي قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فجاء أعرابي فقال: **يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة وانتهت بي الفاقة - أو قال الغاية - والله سائلك عني يوم القيامة فقال: ويحك أعد علي، فأعاد عليه، فنكس عمر رأسه وأرسل دموعه حتى ابتلت الأرض، ثم رفع رأسه وقال: ويحك كم أنتم؟ قال أنا وثمان**

بنات ففرض له على ثلاثمائة وفرض للبنات - أو قال لبناته - على مائة وأعطاه مائة درهم وقال هذه المائة أعطيتك من مالي، ليس من مال المسلمين، اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

وهذا موقف آخر...

- **فرتونة السوداء والحائط القصير:**

كان بريد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا خرج لا يرد أي كتاب يحمله إياه أحد من الناس، وهذا كان عرفًا سائدًا في عهده، وذات مرة خرج بريد من مصر فدفعت إليه امرأة مصرية تسمى «**فرتونة السوداء**» كانت مولاة شخص يدعى «**ذي أصبح**» كتابًا تذكر فيه أن لها حائطًا قصيرًا، وأنه يقتحم عليها فيسرق دجاجها، فكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح، بلغني كتابك وما ذكرتِ من قصر حائطك وأنه يدخل عليك فيسرق دجاجك، فقد كتبت كتابًا إلى أيوب بن شرحبيل** - وكان أيوب عامله على مصر - **آمره بأن يبني لك ذلك، يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله**»، وكتب رضي الله عنه إلى أيوب بن شرحبيل: «**من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل، أما بعد: فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت تذكر قصر حائطها، وأنه يسرق منه دجاجها وتسأل تحصينه لها، فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها**»، فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحصنه لها».

هذا غيض من فيض ذكرناه لكم من سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز نشوقكم فيه بالخلافة الموعودة لعل هممكم تستفيق، ولعلكم أيها المسلمون تنهضون لنصرة دينكم فتعملوا مع العاملين لعودة الخلافة، ولعلَّ رجالًا من أهل القوة والمنعة يقرؤون هذه الكلمات فتبعث فيهم حمية الإسلام فينصروا هذه الدعوة حتى نحقق وعد الله وبشرى رسوله بأن نقيم الخلافة على منهاج النبوة.

اللهم اشرح صدور المسلمين لدعوتنا وأقبل بقلوب أهل القوة والمنعة ناصرين لدعوتنا حتى نقيم الخلافة على منهاج النبوة إنك يا مولانا على كل شيء قدير. ■

تصاعد اعتداءات الإسرائيليين المتطرفين على مسيحيي وكنائس القدس... بصق وتدنيس

أظهرت مقاطع فيديو جديدة بصق عشرات (الإسرائيليين) المتطرفين من اليهود المتدينين بشكل مستفزّ نحو المسيحيين والكنائس في القدس المحتلة. وتنتشر ظاهرة الكراهية بسرعة في المدينة المقدسة ومناطق أخرى، بما في ذلك حيفا التي شهدت في الآونة الأخيرة حالات تدنيس متعددة للكنائس. وأفادت صحيفة «هآرتس» (الإسرائيلية)، في تقرير مساء الاثنين، بأن هذه الحوادث وقعت خلال اليومين الأخيرين خلال احتفالات"عيد العرش» اليهودي؛ حيث توافد عدد كبير من اليهود المتدينين إلى البلدة القديمة في القدس وصولًا إلى حائط البراق لأداء طقوس تلمودية. في محيط الحرم القدسي، و»عندما لاحظ اليهود وجود المسيحيين بدأوا بالبصق عليهم، وبصق معظمهم على الأرض بجانبهم». وفي هذا الإطار، صرّح المستوطن إيليشع يارد، وهو أحد المشتبه بهم في جريمة قتل الشهيد قصي معطان من قرية برقة في شرق رام الله، في ٤ أغسطس/ آب الماضي، بأن عادة البصق على المسيحيين ومقدساتهم هي «عادة يهودية قديمة ومباركة». وفي منشوره التحريضي، أضاف يارد، الذي كان ناطقًا باسم النائبة في الكنيست «ليمور سون هار ميلخ» من حزب «عوتسما يهوديت» (القوة اليهودية) قائلًا: «ربما نكون قد نسينا، تحت تأثير الثقافة الغربية، ما هي المسيحية بالنسبة لليهود؛ ولكن يجب علينا أن نتذكر أن ملايين اليهود الذين عاشوا في المنفى خلال الحملات الصليبية والتعذيب في محاكم التفتيش، والمؤامرات الدموية، والمذابح الجماعية، لن ينسوا أبدًا تلك الأحداث».

الوعي: وهل نسيت، يا ابن اليهودية، ما قدمه المسلمون لكم عندما نزحتم من أوروبا إلى بلاد المسلمين، هربًا مما تقول من «الحملات الصليبية والتعذيب في محاكم التفتيش، والمؤامرات الدموية، والمذابح الجماعية»؟!... إنكم قوم نكث ومكر وغدر وجبن، وإن لكم يومًا لن تُخلَفوه أبدًا.

صحفي (إسرائيلي): دولتنا إلى الزوال

نشرت صحيفة «هآرتس» العبرية مقالًا للكاتب الصهيوني الشهير (آري شبيت). فقد بدأ مقاله بالقول: يبدو أننا اجتزنا نقطة اللاعودة، ويمكن أنه لم يعد بإمكان (إسرائيل) إنهاء الاحتلال ووقف الاستيطان وتحقيق السلام، ويبدو أنه لم يعد بالإمكان إعادة إصلاح الصهيونية وإنقاذ الديمقراطية وتقسيم الناس في هذه الدولة. وأضاف: إذا كان الوضع كذلك، فإنه لا طعم للعيش في هذه البلاد، وليس هناك طعم للكتابة في «هآرتس»، ولا طعم لقراءة «هآرتس». يجب فعل ما اقترحه (روغل ألفر) قبل عامين، وهو مغادرة البلاد. إذا كانت (الإسرائيلية) واليهودية ليستا عاملًا حيويًّا في الهوية، وإذا كان هناك جواز سفر أجنبي لدى كل مواطن (إسرائيلي)، ليس فقط بالمعنى التقني، بل بالمعنى النفسي أيضًا، فقد انتهى الأمر.

وأكد الكاتب أن (الإسرائيليين) منذ أن جاؤوا إلى فلسطين، يدركون أنهم حصيلة كذبة ابتدعتها الحركة الصهيونية، استخدمت خلالها كل المكر في الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ومن خلال استغلال ما سمي المحرقة على يد هتلر «الهولوكوست» وتضخيمها، استطاعت الحركة أن تقنع العالم بأن فلسطين هي «أرض الميعاد»، وأن الهيكل المزعوم موجود تحت المسجد الأقصى، وهكذا تحول الذئب إلى حمَل يرضع من أموال دافعي الضرائب الأميركيين والأوروبيين حتى بات وحشًا نوويًّا. واستنجد الكاتب بعلماء الآثار الغربيين واليهود، ومن أشهرهم (إسرائيل فلنتشتاين) من جامعة تل أبيب، الذين أكدوا «أن الهيكل أيضًا كذبة وقصة خرافية ليس لها وجود، وأثبتت جميع الحفريات أنه اندثر تمامًا منذ آلاف السنين، وورد ذلك صراحة في عدد كبير من المراجع اليهودية، وكثير من علماء الآثار الغربيين أكدوا ذلك... وكان آخرهم عام ١٩٦٨م، عالمة الآثار البريطانية الدكتورة «كاتلين كابينوس»، حين كانت مديرة للحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس، فقد قامت بأعمال حفريات بالقدس، وطردت من فلسطين بسبب فضحها للأساطير (الإسرائيلية)، حول وجود آثار لهيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى؛ حيث قررت عدم وجود أي آثار أبدًا لهيكل سليمان، واكتشفت أن ما يسميه (الإسرائيليون) «مبنى إسطبلات سليمان» ليس له علاقة بسليمان ولا إسطبلات أصلًا، بل هو نموذج معماري لقصر شائع البناء في عدة مناطق بفلسطين، وهذا رغم أن عالمة الآثار هذه جاءت من قبل جمعية صندوق استكشاف فلسطين لغرض توضيح ما جاء في الروايات التوراتية؛ لأنها أظهرت نشاطًا كبيرًا في بريطانيا في منتصف القرن ١٩ حول تاريخ «الشرق الأدنى». وشدَّد على القول إن لعنة الكذب هي التي تلاحق (الإسرائيليين). ويومًا بعد يوم، تصفعهم على وجوههم بشكل سكين بيد مقدسي وخليلي ونابلسي، أو بحجر جمّاعيني أو سائق حافلة من يافا وحيفا وعكا. يدرك (الإسرائيليون) أن لا مستقبل لهم في فلسطين ، فهي ليست أرضًا بلا شعب كما كذبوا.